ذلك الدين القيّم

معوض عوض ابراهيم



المقدمـــــة :
============

الحمد لله رب العالمين حمدا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضي ، وأصلي واسلم علي سيدنا محمد رسول الله ، مصطفاه ورحمته المهداه للعالميـــن .

ورضي الله عن آله وصحبه ومن اهتدى بهداه حتي نلقي اللـــه مؤمنيـــن .

وبعد .. فهذه أضافة الي " قبس من الاسلام " و " ملامح مـــن هذا الدين " أود أن شاء الله ان تتبعها أخوات باسم :

" ذلك الديـــن القيـــم "

وعسي الله ان ينفع بها ، ويعين علي اتمامها؟ لحق الديـــن القيم علينا، وقياما بحق أخوة نتهادى واياهم النصح ، ونتبـــادل النفع وأية منفعة توضع في كفة ميزان أمام كلمة من الحق نتقـــدم بها الي المجتمع المسلم في صدق المؤمنين ، ورفق المرسلين ومـــن نهج نهجهم عبر العصور ؟ ولقد كان قبالة نظرى ، وملء خاطرى،وأنا أواثم بين هذه الكلمات قول الله تعالي :

" فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليهـــــا لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لايعلمون" .

(الــــــــــروم/ ٣٠)

رجاء ان يكون الذى اعان الله عليه علي طريق الدعاة الصالحين الي الله تعالي ، وان أكون قد أبتغيت بذلك وبكل ماخططته بقلم أو أطلقت به لسانا وجه الله ، وثواب الاخرة .

والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل ......

معوض عوض ابراهيم

الكويت في : ٩ من ذى الحجة عام ١٤٠٥ هـ .

الموافق ٢٤ من اغسطس ١٩٨٥ م .

ذلك الديــــن القيـــــم

ان الايمان بالله تعالي ليس زعما بزعم ، ولا هو دعوى تدعــي
ولكنه عقيدة تعمر القلب ، واقرار باللسان ، وعمل بالجوارح هــو
الشاهد بعمق العقيدة ، والدليل علي صدق الاقرار .. وفي الاثـــر
" ليس الايمان بالتمني ، ولكن ماوقر في القلب وصدقه العمـل ، وان
أقواما غرتهم الاماني حتي خرجوا من الدنيا ولاحسنة لهم وقالوا :
" نحسن الظن بالله ، وكذبوا ، لو أحسنوا الظن لاحسنوا العمل ... "
وما يبالي الله بقول لايسنده عمل ، ولا وزن عنده سبحانه لعمـــل
لاينطلق من عقيدة التوحيد ، علي هذه الحقيقة تتابع رسل الله فمــا
منهم من رسول الا قال لقومه " اعبدوا الله مالكم من اله غيره ..."
شرع لكم من الدين ماوصي به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا بــه
ابراهيم وموسي وعيسي أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ..

(الشـــــورى/١٣)

وماتقوم الحياة الا علي أمر الله متمثلا في العقيدة والشريعة، وفـي
الايمان والعمل اللذين مافترقا في كتاب الله ابدا ، قال تعالــي
(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا "

(مريـــــم / ٩٦)

ولقد فطر الله تعالي عباده علي عقيدة التوحيد وتعاهد النبي
صلي الله عليه وسلم هذه النبتة الكريمة بتوجيهاته وهداياته حتي
تأصل الايمان في نفوس الذين امتن الله عليهم فقال " ولكن اللــه

حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ..." (الحجرات / ٧-٨)

اجل تعاهد النبي صلي الله عليه وسلم المسلمين بأمر الله اليه ووحيه الذى التزمه مازاد فيه شيئا ، ولانقص منه حرفا ، قال تعالي : " وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما .. (النساء : ١١٣)

وقال : (ومايـنطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحي علمه شديد القوى (النجم : ٣/٤)

ومن اجل هذا كان رسول الله صلي الله عليه وسلم خليقا بأن يقول الله تعالي فيه وللمؤمنين خيرته من عباده " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا " (الاحزاب / ٢١)

إن الايمان هبة الله تعالي ، وهو سبحانه وتعالي يعطي الدنيا من يحب ومن لايحب ولكنه لايعطي الايمان ، ولايهدى الي الدين الا من أحب ، ثم يشرح صدره الي مقتضيات الايمان وثمراته. فللمؤمنين بالله تعالي سماتهم المميزة في القرآن الكريم والسنة المطهرة .. قال تعالي " آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير ...." (البقرة/٢٨٥)

وقال " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم (التوبة / ٧٠)
وقال : " انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تلبت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلي ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم .. " (الانفال / ٢- ٤)

والنبي صلي الله عليه وسلم يقول : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " .

وينفي صلوات الله عليه الايمان عن أقوام فيقول " لايؤمن أحدكم حتي يحب لاخيه مايحب لنفسه .. " رواه أنس رضي الله عنه واخرجه الامام البخاري ... ويقول " والله لايؤمن والله لايؤمن قالوا : يارسول الله خاب وخسر ، فمن هو ؟ قال صلي الله عليه وسلم من لايأمن جاره بوائقه .. " والبوائق هي الظلم والقهر .

ويقول صلي الله عليه وسلم " ما آمن بي من بات شعبان ، وجاره الي جواره جائع وهو يعلم .. "

اخرجه البزار والطبرائي عن أنس رضي الله عنه ...

والنظر في هذه الايات والاحاديث يبرز أثر العقيدة في أنفس الافراد والجماعات وفي صوغ الامة التي أراد الله تعالي أن تكون بالايمان والعمل خير أمة أخرجت للناس فقد رتب الله سبحانه علي العقيدة

والشريعة معا أن ينجز للمؤمنين رحمته " اولئك سيرحمهم الله " .
وان يكونوا أهل الحق والصدق في قوله " أولئك هم المؤمنون حقا " .
" أولئك هم الصادقون " فقد صدقوا الله الايمان الذى لايطلع عليه
الا علام الغيوب ، ثم اينعت ثماره ، وزكت آثاره ، وسطعت في حياة
المؤمنين أنواره فهم يغدون ويروحون ، ويمسون معه ويصبحون
ولايرضون به بدلا ولا يبغون عنه حولا ، ولايقدمون بين يدى الله ورسوله
في حال أو تصرف ، ولا يرون لانفسهم اختيارا في أمر أوحي الله
لرسوله فيه أمرا " ، " وما كان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضي الله
ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله
فقد ضل ضلالا مبينا .. " (الاحزاب / ٣٦)
" ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر
منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الي الله والرسول ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الاخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا ...(النساء / ٥٩)
والامام ابن كثير رحمة الله يقول في قوله تعالي " فان تنازعتم
في شيء فردوه الي الله والرسول .. " أى الي كتاب الله وسنة رسوله
وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شيء تنازع الناس فيه من أصول
الدين وفروعه ، أن يرد التنازع في ذلك الي الكتاب والسنة كما
قال تعالي " وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الي الله " .
(الشورى / ١٠)
فما حكم به الكتاب والسنة ، وشهدا له بالصحة فهو الحق " فماذا
بعد الحق الا الضلال ...... " (يونس / ٣٢)

وقد كان مما يدعو به الرسول صلي الله عليه وسلم بـــــــه " اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين .. " وزينـــــة الايمان ليست مجرد مظهر ، انها طاعة لله واذعان لامره واستقامــة علي الطريق الملتمع في أول دعوة علمها الله عباده في كتابــــه الكريم " اهدنا الصراط المستقيـــم " (الفاتحـــــة / ٦)

ورضي الله عن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضـــي الله عنهما فقد قال :

" الصراط المستقيم دين الله الذى لايقبل من العباد غيره ..."

ودين الله هو كتابه وسنة نبيه الذى لم يدع شيئا يقربنا من اللـه عز وجل الا أمرنا به ، ولاشيئا يبعدنا عن الجنة الا نهانا عنـــه ويوم قالوا لحكيم عربي في الجاهلية أخذه نور الحق فأسلم ، كيـف آمنت برسالة محمد ـ صلي الله عليه وسلم ـ ولك عقلك ؟ .. قال :

" ان محمد لم يأمر بشيء وقال العقل لاتفعل ، ولانهي ـ صلي اللـــه عليه وسلم عن شيء وقال العقل أفعل " . والمنصفون في غير ساحـــة التوحيد يرون مارآى الرجل ويقولون ذلك بصراحة ، وان لم يقدهـــم ذلك العلم الي الايمان ، فاين عقول بعض الناس من ذلـــــك ، ان العبادات الاسلامية صلاة ، وصياما ، وزكاة ، وحجا ، مع عقيـــــدة التوحيد ، هي قواعد الله ، وأركان الدين والتزاماتها والحـــرص عليها ، وعلي ماتثمره فينا من كمالات وفضائل هما سبيلنا الـــي ان نكون كما أراد الله تعالي بقوله " كنتم خير أمة أخرجـــــت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللـــه "

واختتام هذه السمات بالايمان بالله تعالي يؤكد ضـرورة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بعد ان نأخذ انفسنا بما أمرنا بـه وارتفعنا به عما نهينا عنه مصطحبين الحكمة ، والموعظة الحسنـة قبل أن يقول قائل ، بنفسك فابدأ ، وقيل أن نكون كحجر السن الذى يسن الحديد ولايقطع ، ولقد نعي الله من صنيع أحبار اليهود ذلـك فقال " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلـون ... " (البقـرة / ٤٤)

وقال للمؤمنين " يا ايها الذين آمنوا لم تقولون مـالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالاتفعلون .. "

(الصـف/ ٢ ، ٣)

وما يحقق الله للحياة أمنها وهداها ، الا حين ينتهي صراع الاجيال في مختلف جوانبها بأنانياتهم ، وصوالحهم الخاصة ، وتثوب البشرية الي رشدها من شهواتها وآثامها وغفلتها عن الله وكتابه وعـن الرسول وسنته ، ورضي الله عن الامام الشافعي فهو يقول " ان فـي كتاب الله تعالي سورة لو عمل بها الناس لوسعتهم " والعصـر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصـوا بالحق وتواصوا بالصبر " (العصـر/ ٣)

هذا هو طريق السعادة في حياتنا الدنيا وهو سبيل الفوز بالجنـة ورضوان الله يوم يقوم الناس لرب العالمين واتقوا الله الذى يعـز من اتقاه " فمن اتقي وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون "

(الاعـراف/ ٣٥)

الحياة ومنهج اللـــــــه

الحياة الدنيا هبة الله تعالي ، لم يمنحها أب ، ولم تسدها أم ، وأن كانا سبيلها الالهي في غير أب البشر ادم عليه الســلام اذ خلقه الله آيه كبرى " من تراب " وكان عيسي آية آخرى حيــــن خلقه الله من أم دون أب ... قال تعالـــي :

" ان مثل عيسي عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال لـه كن فيكـــون " . (٥٩/ آل عمــــران)

وقال تعالـــي :

" وجعلنا ابن مريم وأمه آية وأويناهما الي ربوة ذات قرار ومعيــن " (٥٠ / المؤمنـــــون)

والله تعالي يقول : " تبارك الذى بيده الملك وهو علي كل شـــيء قدير ، الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم احسن عملا وهـــــو العزيز الغفـــور " . (الملـــــك : / ٢)

ولقد جعل الله تعالي الحياة ميدانا للعمل ، والاستخـــلاف لابلاغها درجة الكمال البشرى ، علي منهج الله تعالي ، قيامــــا بأمره ، وتركا لما نهي عنه سبحانه وحذر منه ، قال تعالي :

" وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم مــــن رزق وما أريد أن يطعمون . أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين " .

(٥٨ / الذاريـــــــات)

وفي الحديث القدسي يقول ربنا سبحانه " يا أبـــن آدم خلقتــك

لعبادتي فلا تلعب ، وتكفلت برزقك فلا تتعب ، يا أبن آدم أطلبني تجدني فان وجدتنى وجدت كل شيء ، وان فتك فاتك كل شيء ، وأنا خير لك من كل شيء) ورحم الله ابن عطاء السكندرى فهو يقول " تشمرك فيما ضمن لك ، وتقصيرك فيما طلب منك ، دليل علي طمس البصيرة " .

أن الحياة الدنيا مجال للتنافس فى الصالحات ، وابتغاء رزق الله من أحسن الوجوه ، وبشريف الوسائل ، والاستعانة بالله تعالى والثقة بأنه لايمنح الخير الا الله ، ولايدفع المكاره والأسواء سواه سبحانه ، قال تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعه فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وآبتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ". (١٠ / الجمعه)

وقد نعى الله على أقوام سيطرت عليهم المطامع ، واستحوذت المنافع ، واستعبدتهم التجارات وضروب المكاسب مشروعة أو غير مشروعة ، ورد أبصارهم وبصائرهم الى أقوام خلوا الرسول فى المسجد انتهازا لفرصة تجارة مقبلة الى المدينة قال تعالى:

" واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ماعند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين "

(١١/ الجمعة)

وخير الدنيا والاخرة بين أصبعين من أصابع الرحمن سبحانـــه وهـــو يقـــول :

" فابتغوا عند الله الرزق وأعبدوه وأشكروا له اليـــه ترجعـــون " .

ويقول :" وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الابقـــدر معلـــوم " (٢١ / الحجــــر)

والحياة الدنيا قنطرة للاخرة ، وعلى أساسها يكون المصير للـــه سبحانه فهي الشجرة والاخرة الثمرة وهي الزروع والاخرة الحصـــاد " وما تجزون الا بما كنتم تعملون " ... " تلك الدار الاخـــرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الارض ولافسادا والعاقبة للمتقيـن"

(٨٣ / القصـــص)

" فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره "

(٨/ الزلزلـــة)

والله تعالى لايهون الدنيا وهى عطاؤه ، ولايحقرها لعباده الذيـن يقومون فيها كما أمره أخذا وتركا ، ولكنه يذكرها بمثل قوله :

" أعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيـج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور "

(الحديـــد - ٢٠)

الاسلام ... لا الشعـــارات

الانسان أكرم مخلوقات الله تعالي منذ خلق الله أبانـــا آدم
من سلالة من طين علي صورته ، وسواه بقدرته ونفخ فيه من روحـــه ،
واسجد له بالعلم ملائكته ، وبث منه ومن حواء رجالا كثيرا ونســاء
كانوا موضع اهتمام الملائكة - وهم عباد مكرمون - كما قال تعالي:
" الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون بـــه
ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفـــر
للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهـــم
جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وآزواجهم وذرياتهـــم
آنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات " - الايات من سورة غافـر

وتأمل قوله تعالي للذين آمنوا : " فاغفر للذين تابـــوا
وأتبعوا سبيلك " ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم" لتعـرف
أن بني الانسان قد استوجبوا شرف أهتمام الملائكة بهم، بالتزامهم
أمر ربهم الذى استخلفهم في عمارة هذا الكون ، وابلاغهم جهـــد
أستطاعتهم درجة الكمال الممكن ، ولم يستوجبوه بمجرد النسبـــة
الي ابي البشر عليه السلام .. قال تعالي حاكيا بعض حوار موســي
وهارون عليهما السلام لفرعون : " قال فمن ربكما ياموسي قـــال
ربنا الذى أعطي كل شيء خلقه ثم هدى (٤٩ /٥٠ / طـــــــه)

والانسان وهو خليفة الله ونائبه ، غير متروك لهواه يتصرف
في نيابته بما يرى ويريد ، قال تعالي
" ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لايهـــدى
القوم الفاسقيـــن " . (٥٠ / القصـــص)

وهدايات الله للانسان هي رسالاته التي تتابعت الي المصطفين الاخبار ، وفي الاسلام بخاصة ، بما فيه من صلاح وأصلاح ، وهو الدين الخاتم المهيمن ، وشرع الله الذى يعلم من خلق ، ومنهجه الذىلايضل سالكه ، ولايشقي. قال تعالي :

" فمن اتبع هداى فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون" (٣٨/ البقرة)

" فمن أتبع هداى فلا يضل ولايشقي ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمي ، قال رب لم حشرتني أعمي وقد كنت بصيرا ، قال : كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسي " (١٢٦ / طه)

ذلك خبر الله ، ومايبنغي أن يكون موضع ريب أبدا، ولا أن تؤثر عليه افكارا ومبادىء وشعارات أصابت أمتنا في مقتل ، وجعلتها شيعا واحزابا وعرضة للاطماع من كل جانب ، بعد أن كانت بالاسلام أمة واحدة " تتكافأ دماؤهم ، ويسعي بذمتهم أدناهم ، وهم يد علي من سواهم " كما صح من قول رسول الله صلي الله عليه وسلم وإننا نفهم معاني هذه الجمل الثلاث لنستبصر ونرشد ويلقي الله بنا الرعب في قلوب من تعالوا علينا وما يزالون .

وفي دنيا المسلمين من يعيش بعقل ماركس ولينين ، ومنهم من يدور في فلك الرأسمالية الجامدة ، ومنهم من يرددون شعارات العروبة والشعوبية غير واعين قول رسول الله صلي الله عليه سلم : " الناس سواسية كاسنان المشط لافضل لعربي علي عجمي ولاأبيض علي أسود الا بالتقوى ، ثم قرأ رسول الله صلي الله عليه

وسلم : " ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير "
(١٣ الحجـــــرات)

أن أية ثقافية لايرجح بها ميزان ، ولايمكن أن تكون من فضائل الانسان ، وهى تجهل البديهات ، التى أرسي قواعدها الاسلام بالاخوة الاسلامية ، التى استرعى الاسلام اليها الانتباه دون قيس وتميم ونوفل وعبد شمس ، وكان بها سلمان الفارسى ، وبلال الحبشى وصهيب الرومى أثقل فى ميزان الفضل من أبى لهب عبد العزى بن عبد المطلـــب ، ومن أبي جهل عمرو بن هشام وأمثالهما ، ممن لهم فى العروبة قدم وساق ، ومهما ردد حاملو المؤهلات العلمية شعاراتهم ، التى تبعد بهم عن الاخوة الاسلامية ، ولايزدادون بها الا تقاطعا وتدابرا وحروبا تأتى على أمجاد أوطان ، ومشاهد عمران ، وذخائر حياة ، تابع فـى أكتسابها الاخرون الاوليــن .

أن المبادىء الوافدة ، والوطنيات الضيقة ، والاحلاف التـــى تتصارع حينا من الدهر ثم يسقط أباطرتها صرعى وتسقط هى كدمـــى الاطفال ، وتصير تاريخا لايسر ، وذكرى لاتطيب ، أنها لتضاعف الثقة في الاســلام طوق النجاة ، وزمام أمر الحياة ، الذى لايغنى عنـــه فكر فلان ، ولاسياسة أنسان ، وكم ظهر على مسرح السياسة والفكــر أناس يذكرهم الذاكرون أدعياء الحرية والوحدة ، وشواهد التبعيـــة بشرق أو غرب ، بعد أن بعدوا بأممهم عن أمال الدعة والسعــــة والرخاء والازدهار ، وتركوها تنادى كما نادى غيرهم بالامس :

بالاوس وبالخزرج ،حتى ناداهم الرسول عليه الصلاة والسلام ودعاهـم الى قول الله تعالى : " وأعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته أخوانا " (آل عمران/١٠٣)

لقد سار كثيرون من الساسة بالامة التى جمعها الاسلام الي حال هانت فيه علي نفسها ،وهانت علي عدوها ،وحين اشتبهت عليها المسالك ،وتداخلت خططها دون صراط الله ،لقد صدق أبو الطيب المتنبي وهو يقول :

من يهن يسهل الهوان عليه * مالجرح بميت ايلام

وكم يغرق في الضلال من يري تفسخ الامة حتي سامها كل مفلس ،وغربدت في مقدساتها اسرائيل ،ومضت في ديار منها وأقطار وصارت كما قيل :

ويقضي الامر حين تغيب تيم * ولايستأذنون وهم شهود

ثم يعيد اساتذة كبار ذكرى ثورات وأحلاف ،كان عندنا ماهو أولي منها وأخلق بالتذكير والاقتناع ،وان فسره بهواهم الاقوام ،وأنه سيبقي طلق المحيا ،كأن عهده بالسماء الساعة ،وتبقي وجوه المبطلين تلفها الظلمات " بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق " . (الانبياء / ١٨)

ان الاسلام حاكم مهيمن ،حافل بما تفرق في رسالات الله ومثلها معها ،مما صح من مبادىء وقيم وفلسفات ومناهج صالحة وهو عقيدة وأوامر ونواه وتكاليف ،لادعاوى هذا وذاك ،ممن يسقطون في ميدان العمل ،ومجال الالتزام ،بأحكام الاسلام .

وسيبقى الاسلام كما أراده الله في سموه وأرتفاعه ووفائه بعناصر الازدهار والاستقرار أهلا لمنة الله تعالى في قوله :

" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا " . (المائدة/٣)

فهل نحتاج بعد ذلك الى هذه الشعارات المطروحة والعنعنات التى لاتغنى من الحق شيئا .

حركة الحياة في الاســــلام

يقول الله تعالي " انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلنــــاه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتي اذا أخذت الارض زخرفتها وأزينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاهـــا أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكــرون " (يونــــس / ٢٤)

أجل لايضائل الله في هذه الايات وغيرها من شأن الدنيا الابقدر مايستبصر العقلاء أنها لاتدوم ، وهي أن أستقرت مناهجها ، وتمــت مباهجها متاع قليل ، وسحابة صيف وخيال طيف .

وقد عرفها علي حقيقتها من قال :

والله لو كانت الدنيا بأجمعهــا
تبقي علينا ويبقي عيشها رغــــدا

ماكان من حق حــر أن يذل لهــا
فكيف وهي متاع يضمحل فــــدا

والذى قـــال :

اذا كنت أعلم علم اليقيـــن
ان حياتي جميعـا كساعــــة

فلم لاأكون ضيفا بهـــا
وأصرفها في صلاح وطاعـــة

ان الحياة جميعا كساعة ، كرجل نام ساعة تحت شجرة ثــم راح وتركها " كسوق قام ثم انفض ، كعرس أسدل بعده الستار ، وتفرق السمار

أحلام نوم أو كظل زائل * ان اللبيب بمثلها لايخدع

أن الحياة منذ أدم عليه السلام والى ان يرث الله الارض ومن عليها ثلاثة أيام :

ثلاثة أيام هى الدهر كله

وماهى الا الامس واليوم والغد

فلقد مضى الامس ولاسبيل الى رده ، وهذا الحاضر تتلاحق لحظاته ذاهبة وكأنما يسوق بعضها بعضا ، والغد آت قد نشهده ونقاسم في بعضه أو تقضى الينا آجالنا قبل ذلك ، وليس وراء الامس واليوم والغد الا مصيرنا الى الله تعالى " ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى " (٣١ / النجوم)

وياويح من يجهل هذه الحقيقة الكبرى ، أنه لايلبث أن يرى حياته قد تبددت بلا طائل كلوح الثلج الذى ذاب قطرات وقال صاحبه :

" أيها الناس أرحموا من يذوب رأس ماله "

أن الله تعالى واهب الحياة قد وضع للاسوياء منهجا حتى يصرف فرصتها أقوام في الاهواء والشهوات والمطامع وارواء الانانياب فجعل ساعات في يوم الحي دليله للعبادة وساعات يأخذ فيها حظه من الطعام والشراب ومالابد للحى منه ، من نوم واستجمام يكون بعدها أقدر مايكون على مواصلة العمل ، وجعل من تلكم الساعات فترات يتزود فيها من طلب العلم ، والنظر في الانفس والافاق بما يكون نماء لعقيدته وغذاء لقلبه ، وطاقة دافعة الى المزيد من العمل وتجويده ...

وساعات يتعاون فيها مع أخوانه على العمل المشترك الـــــذى يدفعـــون به حركـــة الحياة فى طريق الله تعالى ٠

معايشة العصر ووظيفة الدين

في دنيا الناس أقوام يريدون تطويع الاسلام للعصر وتبرير القرآن الكريم لما في المجتمع من شر وفكر منحرف وانحلال وانطلاق مع الانفس الامارة بالسوء لا الانفس اللوامة التى يتدارك الله بها أصحابها كلما نشطوا بقبيح أو تحمسوا لتحسين ماليس بصحيح والحق احق بأن يتبع .

ويقول الله جل وعلا : " ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم " (٩ / الاسراء)

وماذا في العصر من فضيلة يرفضها الاسلام وينكرها الكرام ،ان الاسلام فضائل وكمالات وما من طهر أو بر أو تشمير للصالحات الا والاسلام حفز الرجال اليه . وما من تسيب أو سقوط همة أو رضا بالدون أو أثرة أو عبادة ذات أو حرص على تحصيل المال من غير وجوهه المشروعة ، أو توسل بالمداجاة والخداع لاكتساب مركز في المجتمع الا والاسلام يواجهه بالانكار والتهويم ليتحاماه الاسوياء ويبتعدوا عنه ، ويوم قرأ على حكيم العرب أكثم بن صيفي قول الله تعالى: " أن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون "

(٩٠ / النحل)

قال لقومه الذين بهرتهم حكمة الرجل وزعامته الاجتماعية ، وحالوا بينه وبين الاسلام مرات : ياقوم أطيعونى واتبعوا هذا الرجل وكونوا باتباعه رؤساء قبل أن تكونوا أذنابا، ان هذا الذى سمعت

مما اوحي الي محمد صلي الله عليه وسلم ، لو لم يكن دينا لكان في أخلاق الرجال حسنا ، والرجل بهذه الكلمات يفهم وظيفة الدين التي لم يفهمها بعد كثيرون وقد صح أن الرسول صلي الله عليه وسلم قال :

ان الله يحب معالي الامور ويكره سفاسفها .

ورحم الله من قال :-

اذا ماعلا المرء رام العلا

ويقنع بالدون من كان دونا

أو يرضي سوى ان يهادن الدين الرذائل ويربت علي مناكب الذين يعيشون في الارض فسادا بما يسمونه حضارة وتقدما وماهي من ذلك في شيء .

ان الحضارة نظافة ظاهرة وجمال باطن ، وعمارة ، وادارة ونظما ورياضة بانية للجسم والروح وترفيها رفيعا لايتملق الغرائز ولايستثير النزوات ، هي ومثلها معها من معطيات الاسلام وحده ومن هبات الدين الذى جلت به منة لله علينا وعلي الناس بمثل قوله تعالي :

" اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا " (٣ / المائدة)

ومارضيه الله لايكون تقديم غيره عليه عدلا أو أحسانا وما رضيه الله لايهادن الاعراف الهابطة ، ولاما أستوردناه من وراء الحدود من قيم ومصطلحات وحضارات لاتلتقي وأعرافنا الصالحة

وهذا ياتالدين الذى ختم الله بكتابه كلماته وأنهى الى رسالته الخاتمة مالاتحتاج الحياة في أرفع مستوياتها لسواه .

والشاعر الرصافي يقول :

يقولون في الاسلام جهلا

بأنه يصد بنيه عن طريق التقدم

فأن كان ذا حقا

فكيف تقدمت أوائلنا في عهدنا المتقدم

وان كان ذنب المسلم اليوم جهله

فماذا على الاسلام من جهل مسلم

هل العلم في الاسلام الا فريضة

وهل أمة سادت بغير التعلم

لقد أيقظ الاسلام للمجد والعلا

بصائر اقوام عن المجد نوم

ودك حصون الجاهلية بالهدى

وقرض أطناب الضلال المخيم

الا قل لمن جاروا علينا بحكمهم

رويدا فقد قارفتمو كل مأثم

فلا تنكروا شمس الحقيقة إنها

لاظهر من هذا الحديث المرجم

أن الانحاء باللائمة على الذين يتحدثون بسداد عن الاسلام لانهم ينقمون على اقوام أغلوطة معايشة الدين للعصر ويرفضون

بصوت جهير وبكلام مسفر منير ان يهبط الاسلام من عليائه ويخفـــض جناحه لمفاسد المجتمعات ، هؤلاء كيف لم يفهموا حقيقة الديـــن ووظيفته فى الحياة ودوره الضرورى للارتفاع بأنسانية الانسان الى الكرامة التى قررها الله وهو يقول :

" ولقد كرمنا بنى آدم....... (٧٠ / الاســــــــراء)

وبعد فهل يعايش الاسلام العصر أم يرتفع به عن الــــدروب ومسالك الهوى والضلال في الحكم والعلم والسياسة والانشــــاء والتنمية .. الى مستوى العصر الذى اقسم الله به في الســـورة التى قال فيها الامام الشافعى : ان في القرآن آية لو عمـــل بها المسلمون لوسعتهم " والعصر إن الانسان لفي خسر الا الذيـــن أمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " وعلـــى هذه السورة كان يلتقى المسلمون وبها كانت تنتهي مجالسهم .

عزة المؤمنين ووحدتهم

ان تواصل المسلمين وتلاقيهم واعتصامهم بحبل الله ،وتناجيهم بالبر والتقوى فيما يلقى الله الرعب في قلوب اعدائهم ويذكرهم بالماضي الذى كان كل مسلم ينكر فيه ذاته لخير الجماعه ،ومصلحة الامة ،وعز الاسلام .

انها ذكريات تؤرق عدونا ،وتجعلهم يبغوننا الفتنه ،ويتوسلون بكل وسيلة للايقاع بيننا ،وايغار صدور بعضنا على بعض " وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين " . (٤٧/ التوبة)

وما هزم المسلمون عبر التاريخ الا وهم طوائف وشيع واحزاب تتعادى ويقول كل قبيل : " انا .. وبعدى الطوفان " .

وما من شر حاق بيهم الا وهم يعبدون ذواتهم ،ويقدمون صوالحهم على خير الجماعة ،وعزة المسلمين ،وياويل من يصم آذنيه عن حال من برأ الله رسوله منهم فقال :

" ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله ،ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون . (الانعام /١٥٩)

انما أرادهم الله امة واحدة فكيف صاروا شيعا ، فهانوا علي أنفسهم وكانوا على الناس أهونا .

وما أكثر أحداث امتنا التى تدعو الى ان تتلاقى القلوب وتتعارف الارواح ،وتتصافح الايدى ليعلو الحق ،ويرضي الله ،ويبقى المسلمون

يدا واحدة علي من سواهـــــم .

أن الاراء قد تختلف ، وقد يفلح الشيطان في بعض فرص ضعـــف الايمان في تعكير صفو المسلمين بعضهم علي بعض أفرادا أوجماعات

وقد كان مثل ذلك في عصور الخير ، لكن المعادن الكريمـــة تبقي علي نقائها برغم مايعلوها ويظهر عليها من تراب، ويكـــون خير الناس من سبق الي السلام وان كان الحق في جانبه وآثر الوئام علي القطيعة والخصام اللذين يقدمان خيطا لاعدائنا يمسكون به الي أن يلحقوا بهؤلاء وأولئك شرا مستطيرا، كان المسلمين حول نبينـا صلي الله عليه وسلم يرعي فيهم نبتة الاخوة وينمي بينهم غـــراس المودة ، وينظر بعضهم الي بعض بعين الاكبار والتوقير الي المدى الذى كان يقول فيه عمر رضي الله عنه " ابو بكر سيدنا وأعتـــق سيدنا " يعني (بلال) وصفوان عليه السلام ، ذلك الذى صهـــرت الشدائد عقيدته ،وأكرم الرسول شهده وغيبته ، وضرب فيه مثـــل النخلة ان أكلت أكلت طيبا، وان اعطيت اعطيت طيبا وهل اغتذى بـلال بغير الايمان الصادق ؟ وهل أعطي الامقتضيات التضحية ، حتي آثـــره الرسول عليه الصلاة والسلام بالاذان دون عبد الله بن زيد رضـــي الله عنهما ، وقد قال الرسول لعبد الله وقدر أى الاذان :
القه علي بلال فانه أندى منك صوتـــا .

وما أكثر غدو بلال ورواحه في حياة الرسول ومن بعده صلوات الله عليه وسلامه لخير الاسلام والمسلميـــن .

إن اجهزة الاعلام التي ترصد خطونا ،وتعرف من امورنا مايجهله الكثيرون عنا بوسائلها الخفية الماكره ،وتجعل من مستصغر الشرر

نيرانا في كرات ،ينبغى ان نتذكرها ونستعين بالله على ان لاتغفل عن عواديها ودواعيها ،وأن نربأ بأنفسنا عما وصف العرب به أحد طغاة اسرائيل من اننا ننسى ،وحاشا لله أن نجهل ان النسيان آفة الانسان ،وقد حذر الله المؤمنين من أن ينسوا الله فقال :

ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون
(الحشر/ ١٩)

وذكر من صفات المنافقين أنهم " نسوا الله فنسيهم " فقال تعالى : " والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون " (التوبة/ ٦٧)

الا من يبلغ الناس هذا المثل ففيه معتبر للمنقسمين ونذير للاعداء روى ابو الحسن عن سلمة الازادى قال : لما تشاغل عبد الملك بن مروان بمحاربة مصعب بن الزبير ،اجتمع وجوه الروحة الى ملكهم فقالوا له : " قد أمكنتك الفرصة من العرب بتشاغل بعضهم مع بعض لوقوع باسهم بينهم ،فالرأى أن تغزوهم الى بلادهم ،فانك ان فعلت ذلك نلت حاجتك ،فلاتدعهم حتى تنتهي الحرب التى بينهم فيجتمعوا عليك فنهاهم الملك عن ذلك وخطأ رأيهم ،فأبوا عليه الا أن يغزوا العرب في بلادهم ،فلما رأى الملك ذلك أمر بكلبين فحرش بينهما فاقتتلا قتالا شديدا ،ثم دعا بثعلب فخلاه ،فلما رأى الكلبان الثعلب تركا ماكان فيه ،واقبلا عليه حتى قتلاه فقال ملك الروم :

كيف ترون ؟ هكذا العرب تقتتل ،فاذا رأونا تركوا ذلك واجتمعوا

علينا ، فعرفوا صدقه ، ورجعوا عن رأيهـــم .

ان القوم علي كفرهم يحاورون ملكهم بعقل متفتح وقلب مفتوح وهـــو كذلك يعرف حقهم عليه في سعة الصدر و تناول الرأى وقبول النصـــح حتي يكون هو الحق لاريب فيه ، فالمؤمنون نصحة واذون ، والديـــن النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ، كما قـــال سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم :

اننا خلف لسلف اعزهم الله بالاسلام فتركوا للدنيا أكـــرم السير ، وأعظم صور الاسوة في الرضا والغضب والصلح والخصام .

وفي حمراء الاسد بعد أن اخلفوا وعد رسول الله ورسوله كـــان ماكان في أحـــد .

وذهبت قريش وهي مغرورة بما أحرزت يومئذ من نصر وبلغ بهـــا الغرور مداه ، فكرت راجعة الي المدينة تريد أن تستأصل شأفـــة المسلمين ، وخرج الرسول ومعه البقية التي كانت معه بأحد الي حمراء الاسد ، وأرسلت قريش بعض الرجال يشنون علي المسلمين حربا معنويـــة وكان عاقبة امرهم ماحكي الله تعالي عن المسلمين والمشركيـــن الذين قال لهم الناس ان الناس قدجمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانـــا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضـــل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم "

(١٧٣/ ١٧٤ / ال عمـران)

وواشوقاه الي رجعة الي الاسلام ، الي هدايات القرآن والسنـــة التي لاسبيل سواها لنكون أمة واحدة يمنحها الله نصره وتأييـــده ،

" ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز ، الذين إن مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ،وامروا بالمعروف ،ونهوا عـــن المنكر ،ولله عاقبة الامـــور ٠   (الحـــج / ٤١)

ان الشيطان مع الواحد ،وان الفرقة عذاب ،وان يد الله مـــع الجماعة ،فتعالوا الي كلمـــة سواء ،الى عز الجماعة فهي علـــى الاسلام سبيل عز الدنيا ،ورضوان الله يوم نلقاه ٠٠٠٠٠٠

النبي في بعض آيات القرآن

يجلو القرآن الكريم فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير موضع ،وبصور وأساليب ،وفي مناسبات تتفق وجلال مثال الانسانية محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم ،وعموم رسالته للانس والجن والملائكة ومن بلغ .

واذا كان القرآن كله وحى اللهلمصطفاه ،ليبشر به المتقين وينذر به قوما لدا ،وكما قال سبحانه " ليهلك من هلك عن نبيه ويحيا من حي عن نبيه ،فان امثال قوله تعالى : " وما ارسلناك الا رحمة للعالمين " (الانبياء/١٠٧)

وقوله جل وعلا : " وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا" (٢٨/سبأ)

وقوله تعالى : " لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم " (التوبة / ١٢٨)

وقوله سبحانه " يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة (الجمعة/٢)

وماسنحاول - والله المستعان - ان نذكره من نعوت النبى صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم ،فهو ضرورى ليتم الله علينا بمصطفاه نعمة الاسوة والقدوة ،وهويمن علينا بقوله سبحانه " لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيرا " (٢١/ الاحزاب)

حانها نعوت صوادق خلدها الله في كتابه المحفوظ بحفظه ،ومافيه من نعوت المرسلين من قبله هي من فضل الله وكتابه الى مافي سنة النبي صلى الله عليه وسلم من صفاتهم عليهم السلام ،وهو فضل للاسلام كان ينبغي ان يطلق من أسر الاهواء من ينتسبون بغيا وعدوا لموسي وعيسى عليهما السلام .

وهذا زعيم المنافقين - عبد الله بن ابي بن سلول - وقد أعلن ايمانه وأضمر بغضه وشنآنه ،يقول في أعقاب بني المصطلق ماحكى القرآن الكريم من قوله :

" لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل " بعد أن قال للانصار " لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا "

(المنافقون / ٢)

وهي حماقه من حماقات رجل وسعه حلم النبي صلى الله عليه وسلم وتعددت مساءاته لكنه صلوات الله عليه وسلامه كان يرجو ان يهديه رفق النبي به ،وعفوه عنه ،وصبره على عتوه ونفاره واستكباره الى رشد ،فقد كان للرجل والمنافقين من معسول القول مايشير اليه قول الله تعالى :

" واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم ،وان يقولوا تسمع لقولهم "

(المنافقون/ ٤)

قال ابن عباس رضي الله عنهما " كان ابن سلول رأس المنافقين جسيما فصيحا طلق اللسان ،فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله وكذلك كان اصحابه اذا حضروا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم

يعجب الناس بيانهم به ،ذكر ذلك العلامه الصاوى في حاشيته علـــــي الجلالين وغيره ٠

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل من النــــــاس خواطرهم وينكر على الذين يرمون الناس بالنفاق او بالكفر الذى لم تبد عليهم آثاره وشواهده ،ويقول لاحدهم : " هلا شققت عن قلبـــه ٠٠؟ ويوم بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم ماقال ابن سلول لقيه وسأله فيه فأنكره على من أبلغوه مانفاه رأس المنافقين ،وتلاوم الذيـــن افاضوا في ذلك الخبر ،وأصاب زيد بن أرقم هم شديد من لوم قومه لــه على حقيقة استيقنها ،وحلف كاذبا على نقيضها ابن ابى ،ثم لـــم يلبث الله تعالى ان أوحى الى رسوله سورة المنافقين ،وأظهر رسوله على خبيثة أمر ابن سلــول ٠

وفي رواية ان الرسول عليه الصلاة والسلام مر بزيد وهو مطـــرق الرأس حزين ،فتبسم له ،وتناول صلى الله عليه وسلم أذنه فعركهــا برفق ومضى ،انها الاذن التى سمعت فبلغت بصدق رسول الله ،فصدقهــا الله الذى يتولى الصالحيــن ٠

وفي رواية أخرى ان الرسول بعد نزول سورة المنافقون أرسل الـي زيد فقال ،قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان اللـــه تعالى قد أنزل عذرك وصدقك " او كما أخرج الامام احمد رضى الله عنه والموقف قد يكون متاحا لبيان فضل رسول الله ونبله صلوات اللــه عليه مع الرجل الذى تكررت هناته ،وبرزت غير مرة حماقاته وقالــوا له يوما وللذين كانوا برضاهم عن مساءاته من قومه أهل عتاب وســلام

ماحكى الله تعالى بقوله : " واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون "

(المنافقون/ ٥)

ولقد هم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه انطلاقا من رحمة الله التى طبعه عليها ،و من بها عليه فقال :

" فيما رحمة من الله لنت لهم " (١٥٩ / آل عمران)

لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم " هم صلوات الله عليه ان يستغفر له ،فأخبره الله تعالى ان ذلك لن ينفع منافقا .

قال تعالى : " سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لايهدى القوم الفاسقين "(المنافقون / ٦)

وفي الناس انماط تأخذهم العزة بالاثم أن أمروا بخير أو نهوا عن شر ،فهم لايكتفون بلى الرؤس استكبارا واظهارا لما يبهظ أنفسهم من ضيق بالحق .

لكنهم قد يلوون رؤس الابرار او يقطعونها ،فيلقى الابرار ربهم شهداء أتقياء .

أن القرآن الكريم قد خلد حديث المرسلين عن خير المرسلين صلوات الله عليه وعليهم ،فخذوا من هذا طرفا الى ملامح من القرآن تجلو عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال صاحب أضواء البيان ،بعد ايراد كلام العلماء في قول الله تعالى في القرآن الكريم " تبيانا لكل شيء " (النحل /٨٩)

وفيه ، اى في القرآن من شأن النبي صلي الله عليه وسلم دعـــوة ابراهيم عليه السلام به ، وبشارة عيسي وبعثته وهجرته ، ومن غزواته غزوة بدر في سورة الانفال ، واحد في آل عمران ، وبدر الصغرى فيها والخندق في الاحزاب ، والنضير في الحشر والحديبية في الفتـــح وتبوك في براءة ، وحجة الوداع في المائدة ونكاح زينب بنت جحش في الاحزاب وتحريم سريته مارية وتظاهر ازواجه عليه في التحريم وقصة الافك في الاحزاب وقصة الاسراء في الاسراء ، وأنشقاق القمر في سورة القمر وفي القرآن من شأنه سحر اليهود له صلي الله عليه وسلـــم".

(انتهي بتصـــرف يسيـــر)

وكفي بالله شهيدا علي فضل مصطفاه وهو يقول :

" ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفي بالله شهيدا بيني وبينكـــم ومن عنده علم الكتاب " . (الرعـــــــد / ٤٣)

" قل اى شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكـــم " .

(الانعـــــــام/ ١٩)

" لكن الله يشهد بما انزل اليك أنزله بعلمـــه " .

(النســـاء / ١٦٦)

" يس ، والقرآن الحكيم ، أنك لمن المرسلين علي صراط مستقيم ".

(يــــــــس / ١/ ٤)

" تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق وانك من المرسلين "

(البقـــــــرة/ ٢٥٢)

" واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول وصدق لما معكم لتؤمـــن به ولتنصرنــه ، قال آأقررتـــــم

وأخذتم على ذلكم اصرى ،قولوا أقررنا ،قال فاشهدوا ،وانا معكـــم
من الشاهدين ،فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقـون "
(آل عمــــران٨١/٨٢)
ذلك رسول الله بعض آيات القرآن ،ومن أصدق من الله حديثـــا) ..

في الاسلام كفايـــــــة

أن الدعوة الى الله تعالى اشرف القول وأزكى العمـــــل ، قال تعالـــــى :

" ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال أننـــى من المسلميـــن " فهي دعوة حقة لعبادةالله الحق ، لايعــــــوز القائمين بها الى وهم أو خيال حين يفهمها الناهضون بهـــــا ، ويكونون حالا ومقالا على مستوى الذين أطهر الله سماتهم ، وبيـــن صفاتهم حتى يسد الطريق على الذين يقولون مالايفعلون ، وعلـــى الطفيليين الذين يتناولون مايرشحهم له تأهل او استعداد أو زاد من الايمان والعمل الصالح قال تعالى :

ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعـــروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحـــون " .

(١٠٤ / آل عمـــــــران)

وأمام هذه الاية يخايلنى دعاة كثيرون لهم السنة لاتتقـــى الله ، وأقلام هى أشبه شيء بآلات الهدم، وأدوات التدمير وليســت بحال من أخوات القلم الذى نوه الله به وجعله من أقسامه تبـــارك وتعالـــى فقـال :

" ن . والقلم وما يسطرون " سورة (القلـــم ١ - ٢)

بعد أن باهى الله بالقلم فى أول سورة نزلت من القرآن الكريـــم وبين أنه وسيلة علم وتعريف وهداية فقال :" أقرأ بأسم ربـــك

الذى خلق خلق الانسان من علق أقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم " . (أقرأ ١-٥)

ان هؤلاء الذين يسودون بالقلم انهارا وصحفا ورسائل ، حين لايستهدون الله فيما يكتبون ، هم سواء بسواء كالذين يقولون بغير الحق ، ناسين أن الله يسمع سرهم ونجواهم ، وأنه تعالى يذكر أقواما يحسبون أنهم على شيء من الفهم والعلم ومعرفة الحق وتحرى الاصلاح وماهم من ذلك في شيء فيقول تعالى:

" فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون " (٧٩/سورة البقرة)

آن القلم وسيلة من وسائل الدعوة الى الله ، فهو يجرى بالكلمة المقروءة ، كما ينطلق اللسان بالكلمة المسموعة، وكما تكون المشاهد والصور المرئية من وسائل الدعوة كذلك ، وما أجل جدوى ما نسمع ونرى حين يتجردون للحق والخير والمعروف ، وقلما طالعتنا الدعوة الى الله تعالى الا في هذا الاطار ، والا وهي مقرونة بالعمل الصالح ، والانتساب الصحيح الى الاسلام كما يبدو من قول الله تعالى " ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين " . (فصلت ٣٣)

والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهما من هوية المسلم من عمل الدعاة الى الله تعالى ، ونحن نقرأ قول الله تعالى :

" والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف

وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم " .

(٧١ / التوبة)

والعجب يبلغ منا ومن الاسوياء مداه ، من أقوام يدعون الاصلاح ويتخيلون أنهم من رجاله ، وهم يخبطون في أودية القول وتطالعك أحاديثهم التي يظاهرهم في شيوعها وأنتشارها امثالهم ممن يحرج صدورهم الحق المستعلم في كتاب الله وسنة رسوله ، وسلوك سلف هذه الامة ، وإن خالف معطيات الحضارة ، وهبات المدينات المعاصرة مما يدغدغ العقيدة ، ويجعل مايؤديه بعضهم من عبادة مظهرا لاحقيقة له ، فما جدوى صلاة لاتنهي عن الفحشاء والمنكر ؟ وفي صدر سورة المؤمنون يقول تعالي :

" قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون " . (١-٢/ المؤمنون)

وفي الحديث القدسي " ليس كل مصل يصلي، انما اتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وكف شهواته عن محارمي ، ولم يصر علي معصيتي " الحديث ، ان بعض الذين يتحدثون عن الاسلام في جوانب من الاسلام وقيمة وهداياته ومنهجه ، ينطلقون من وعي صادق، وفهم بصير وتجرد من الاهواء الخاصة اعلاء لحق الله تعالي وحده ، والغبطة بهؤلاء تجيء بقدر اخلاصهم وصدقهم ، وحرصهم علي مضاعفة الاستمساك بتوجيهات الدين العظيم .

ويتحدث بعض الناس عن الاسلام بالهوى ، قبل ان يأخذوا لانفسهم قدرا من العلم بكتاب الله لانهم لم يحفظوه ولامن السنة النبوية

لانهم لم يدرسوا شيئا عنها ، ولامن السيرة الصحيحة التى هي جلية كفلق الصبح في تراث الاسلام وآثار علمائنا الاجلاء رحمهم الله إن كان ذلك في المتناول وليس عسير المدرك ، ولا صعب المنال حين يترصد له بعض الجهود ، ونعرف أنه أولى بذلك من واردات الشرق والغرب ، وعبادة كل فكر مستورد ، والانبهار بكل وافد من وراء حدودنا وإن كان شيئا مما تحتويه أمعاء هؤلاء الاعداء/كما قال بعضهم منذ قريب : إن الاسلام لايعادى العلم ، ولا يصادم الفكر، ولايتجهم للمعرفة ، وهو دين العلم والقراءة والقلم ، وكتابه يرفع العلم ، والعلماء بكل نافع مفيد للانسانية في شتى جوانب حياتها وقضايا يومها وغدها فيقول تعالى : " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات " (المجادلة / ١١) ويقول : " هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون " . (٩/الزمر)

ويرفع أولى العلم بوحدانية الله الى مستوى الملائكة فيقول تعالى : " شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لااله الا هو العزيز الحكيم " .

(١٨/آل عمران)

والاسلام لايخاصم الحضارة النظيفة ، والجديد من وسائل العيش الكريم ، والوجود السعيد ، والحياة الراقية ، والحياة لاتكون راضية الا بالطهر والشرف ، إلا بذكر الله والترفع عن سفاسف الامور الى المعالى وكمالات النفس ، كما حفل بها الاسلام ، وجاءت بشرطه

من شرق أو غـــــــــرب .

لاأحد يحرم الكهرباء ومعطيات التكنولوجيا ، ووسائل التعمير والتنمية ، وكل ما ننكره بالاسلام ونرفضه في اضواء القرآن والسنة أن نخبط في واد ، وأن تلتبس حدود الخير والشر ، والحلال والحرام فنتعاطى الحرام بأسم " المعاصرة " ونبرر الاثام حتى لايتهمنـــــا أحد بالرجعية والتخلف والجمود ، والرسول صلوات الله عليـــــه يقول : (لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع مالابأس به حـــذرا مما به البأس " وهذا عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشديـن يقول : وأجعل بينك وبين الحرام جزء من الحلال فإنك إن استفرغـت الحلال كله هجمت نفسك على الحــــرام .

وصلوات الله وسلامه على رسول الله فهو يقول :

" الحلال بين الحرام بين ، وبينهما أمور مشتبهات ..."

والرسول بذلك يدعو الى البعد عن المشتبهات التى يكون فيهــــا المرء كراع حول الحمى يوشك أن يقع فيـــه .

ورمضان وهو يفرض أرادة الصائم الخيرة على نفسه ، يعصمـــه بذلك عن أن يكون أسير نزوة ، أو عبد شهوة ، أو انسانا تطلقـــه الغفلة عن الله في أودية الهوى ، فلا يخرج من مدرسة الصــــوم الا مؤمنا حقا ، ومسلما صحيحا ، صح تصوره ، وأستقام أدراكـــه وأستهدف رضوان الله فيها يقول ويفعل وطوبى لمن استبصر فأبصر.

فضل الاسلام علي الحياة والاحياء

فضل الاسلام علي ماسواه من الرسالات فضل من الله برسوله محمد على الله عليه وسلم على الحياة والاحياء ،فما من نبى ولا رسول اقتضت حكمة الله ان يعرفهم الا وقد ورد ذكره في القرآن الكريم بكل الحفاوه التى تليق بالمصطفين الاخيار صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين .

ولقد ذكرت الكتب التى بين ايدى الناس مما يجعلون لها نسبا الهيا وسببا مرتبطابه كابراهيم وداود وموسى وعيسى عليهم السلام ،فكانوا في هذه الكتب ابعد مايكونون عن الكمالات التى يتفق واصطفاء الله تعالى لهم كما قال سبحانه " الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس . (الحج / ٧٥)

وقال : " ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وال عمران على العالمين .... (آل عمران/ ٢٣)

وقال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى .

(الاعراف/ ١٤٤)

وقال على لسان جبريل عليه السلام : " يامريم ان الله اصطفاك وطهرك على نساء العالمين ، (آل عمران٤٢/٤٣)

وقال : " وجعلنا ابن مريم وامه آية واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين " (المؤمنون/ ٥)

وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصيبكم بعض الذى يعدكم " (غافــــــر / ٢٨)
ثم يذكر رجلا آخر في سورة يس في الايات من (٢٠ الي ٢٩) فيقول:
" وجاء من اقصي المدينة رجل يسعي قال ياقوم اتبعوا المرسليـــن اتبعوا من لايسألكم أجرا وهم مهتدون ، ومالي لاأعبد الذى فطرنـــي واليه ترجعون، اأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لاتغنـــي عني شفاعتهم شيئا ولاينقذون، اني اذن لفي ضلال مبين" (الايـــات)

انه حبيب النجار ، قال ابن كثير (رحمه اللـــــه)
ان اهل القرية (انطاكيا) عرفوا بقتل الرسل ــ رسل عيسي عليــه السلام اليهم ، او الرسل الذى لم يسمهم الله تعالي وسماهــــم المفسرون فجاء القوم من أقصي المدينة رجل يسعي لينصرهم مــــن قومه وهو حبيب النجار ، الي آخر ماقال :
وذكر القرطبي ان صبيا كان مجذوما بعبد الاصنام ويدعوها لشفائه ، فعجب لوعدهم بما عجزت عنه آلهته طيلة اربعين عاما ، فآمن ودعــا الله فشفاه ، فكان من آخره ماذكرته الايات ، ووثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه حيث لايعول علي أهل فيهم ولاصاحب .
وما أكرم ربنا ، " قيل ادخل الجنة ، قال:ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ، وما أنزلنا علي قومه من بعده من جند من السماء وماكنا منزلين " (الايــــات ٢٦/٣٠)
حتي اخذتهم الصيحـــــة .....

لقد ذكرت الكتب التي لفق الناس لها نسبا مع الله تصرفات

لاتتأتى من المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين .
وكتاب (التوراه والانجيل والقرآن والعلم ، للفيلسوف الفرنسى المعاصر (موريس بوكاس) ملئ بالشواهد الدالة على مافي كتب القوم ،والعهد القديم بخاصة ،باعتباره مصدر تناقض ،وأخطاء العهد الجديد من الاخطاء التاريخية والعفوية ،حتى أنك لتجد في كل باب من ابواب كتاب (بوكاس) ،بل كان فصل ،بل كل صفحة مايشهد بتفرد القرآن بأنه تنزيل من رب العالمين " وان نبينا محمداً صلوات الله وسلامه عليه كان له فيه صدق التبليغ ،وامانة التعليم كما قال تعالى :
" هو الذى بعث في الاميين رسولمنهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمه وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين "
(الجمعة / ٢)

فهو صلوات الله عليه يتلو عليهم آيات القرآن فور تبليغها جبريل له وهو يزكيهم بها ويربى مشاعرهم وأحاسيسهم ،ويشحذ قلوبهم كى تخلص من أسر الشبهات ،وزيف الشهوات لتكون مستودع العقيدة الحقة ومنبع الكمالات ومزائم الخير ،ومعالى الامور ،قال تعالى "قد أفلح من زكاها" ،فاذا زكت الانفس ،وتحررت من الاهواء الصارفة عن الحق علمها الرسول الكتاب والحكمة مصدرى كل علم بيان ،وهداية تصلح بها الحياة ويطيب المآل عند الله .

ان فضل الاسلام على الحياة بوأ واتصل ،ومايزال الاسلام يمد الحياة بمالاغنى عنه للسير والانتشار في مناكبها للتعمير والانشاء والتنمية وأفاضة النور والهدى .

ان استقصاء كلام الله لمصطفاه من هؤلاء المرسلين ومن وراءهم من النبيين مراد عزيز المنال صعب المدرك ،وحسبهم أن يقول الله تعالي فيهم لمصطفاه صلوات الله عليه بعد أن ذكر من ذكر منهـــم في ســـورة الانعـــام ...

" اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده. (الانعـــــام /٨٣)

وقال " وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك " .

(هـــــــود/١٢٠)

وقال:لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب. (يوســـــف/١١١)

وقال : في ذكر ابراهيم عليه السلام والذين معه " لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوالله واليوم الاخر. (الممتحنــه /٦)

وماذا وراء ان تحمل احدى سور القرآن اسم مريم عليهـــا السلام بعد أن يدافع اللهعنها ويرد قالة يهود فيقول:" فبمـــا نقضهم ميثاقهم وكفرهم بايات الله وقتلهم الانبياء بغير حـــق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الاقليلا وبكفرهم وقولهم علي مريم بهتانا عظيما " (النســاء ١٥٥/١٥٦) فسجل عليهم الكفر ثلاث مرات في ايتين أثنتين ذكر فيها مـــن قبائحهم ماذكر، وفي ختامها ماذموا به المطهرة البتول بهتانا وزورا .

والقرآن الكريم وهو كلام الله تعالي ، يشيد برسل اللـــه ويذكر بالخير أهل الخير ممن عاصروه أو ذهبوا في الزمن، الاتراه يذكر الرجل المؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه بموسي عليه السلام ويعلن نقمته علي بني اسرائيل فيقول" أتقتلون رجلا ان يقـــول ربـــي اللـــه ....

وشتان مابين نور الله الذى يهدى بنوره من يشاء وبين انـــــوار صناعية تتلون وتتشكل ولكنها يسارع اليها الزوال بعد خلل يقفوه خلل وانحلال والاحياء حين تصح بصيرتهم ، ويصلح بصرهم يـــــرون الترابط الوثيق بين الاسلام والوجود الرشيد .. فلا يخفي فضيلة تسد ثغرة في صلة بالله وقيام المؤمن بحقه تعالي في الطاعة .

والتزام هدى الله وسنة رسوله في السلوك والعلاقات الضرورية الماسة لتواصل المسلمين وتكافلهم، الا كان الاسلام اسرع من رجـــع الصدى في تقديمها للحياة والاحياء علي سواء ......

ولايقاس عطاء المدنيات والفلسفات في اعصار مضت وفي عصرنـــا الحاضر بعطاء الاســـلام .

واين عطاء المخلوق من عطاء الخلاق ، الذى يعلم من خلق وهـــــو اللطيف الخبيـــــر ؟

وجلت منة الله تعالي في قوله : " اليوم اكملت لكم دينكـــم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم دينا " .

(المائـــــــــدة/ ٣)

من اساليب تعميق العقيدة

يتشابك الناس ، ويتعلون في فرصة الحياة الواحدة ، وتقوم بينهم عهود .

وقد يحتاجون في ظروف الحياة المتغيرة ، وأهتزاز ثقة بعضهم في بعض الى أن يؤكدوا أقوالهم بالحلف والقسم على الشيء يحاولون الاقناع به فأن كان من الباطل فهو الباطل الذى يبلغ بمتحريه النار و بئس القرار " ولايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا " .

ولقد شرع الله لمن يفطرون الى الحلف ان يقسموا بالله او باسم من أسمائه ، اوبصفة من صفاته ، وأخرج الحاكم في المستدرك قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم " كل يمين يحلف بها دون الله شرك " .

ان اليمين والحلف والقسم بمعنى واحد ، وسمى القسم والحلف يمينا كما قال صاحب القاموس ، لانهم كانوا يتماسكون بايمانهم فيتحالفون ولعل الحلف اصل اليمين الذى يأخذ بعضهم من بعض بها العهد ثم عبر بها عن كل يمين قال تعالى " ولاتطع كل حلاف مهين " . (١٠ / القلم)

وقال "يحلفون بالله ماقالوا "

(٧٤ / التوبة)

وقال سبحانه : " يحلفون بالله لترضوا عنهم ".

(٦٢ / التوبة)

والشرك في الحديث هو اشراك غير الله في التعظيم البليغ بأعطائه درجة التقديس ، لان الحلف بهذا المعني تعظيم للمحلوف به ، والتعظيم الذى يبلغ درجة القداسة من خواص الله دون خلقه ومخلوقاته جميعا ، فلا يضاهي به تعالي غيره ، والرسول صلي الله عليه وسلم ينهي في هذا الحديث وفي غيره عن الحلف بغير الله لتوكيد المحلوف عليه عند السامع ، حين انه في حاجة الي ذلك لاحراز ثقة من يتحدث اليهم .

فتبادل الثقة بين الناس ضرورة لشياع الرفاهية والسلام
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلي الله عليه وسلم سمع عمر بن الخطاب وهو يحلف بأبيه فقال :

" ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت .. (اخرجه البخاري)

قال عمر " فوالله ماحلفت بها منذ سمعت النبي صلي الله عليه وسلم ذاكرا ولاآثرا" أى متعمدا القسم ولاحاكيا له من غيرى.

ان خطاب الرسول صلي الله عليه وسلم لعمر خطاب لسائر المسلمين ، بهذا الحديث الذى يحمل مجرد النهي مع الامر بأن يحلف بالله ان كان ضروريا ، أو يسكت تماما عن الحلف بغيره ..

يقول الامام ابن حجر في فتح الباري :

وأتفق العلماء علي ان اليمين ينعقد بالله وذاته وصفاته الكلية ، واما اليمين بغير ذلك فقد ثبت المنع منها ، وهل المنع للتحريم ؟

قولان ، عند المالكية للتحريم ، كما قال ابن دقيق العبد والمشهور عندهم الكراهية .

والخلاف عند الحنابلة كذلك ، والمشهور عندهم التحريم وبه حرم الظاهرية .

وقال ابن عبد البر : والخلاف عند الحنابلة كذلك ، والمشهور عندهم التحريم ، وبه حرم الظاهرية .

وقال ابن عبد البر : " لايحق الحلف بغير الله بالاجماع "
ومراده بنفى الجواز الكراهية اعم من التحريم ، فانه قال في موضع آخر ، " ان اجماع العلماء على ان اليمين بغير الله مكروهة لايجوز لاحد الحلف بها .

والخلاف موجود عند الشافعية من اجل قول الشافعى :
" وأخشى ان يكون الحلف بغير الله معصية ، فأشعر ذلك بالتردد والجمهور على انها نهى

وقال امام الحرمين : " المذهب القطع بالكراهية ، وحزم غيره بالتفصيل ، فان اعتبر المحلوف به من التعظيم لما يعتقده ، أو جعل له من القداسة ما جعل لله حرم .

وكان بذلك الاعتقاد كافرا ، وأما اذا حلف بغير الله لاعتقاده تعظيم المحلوف به بما يليق به من التعظيم ، أى مخلوق له شأن ، وذلك حال الناس ، فلايكفر به ، ولاينعقد بيمينه .

فمن اقسم بغير الله تعظيما له من دون الله ، فقد جعل لله شريكا وخرج بذلك عن الاسلام ، اذ جحد نعمة الله ، وانكر فضل الله وساوى به سواه ... حاشاه ....

يقول الامام النووي في بيان الشرك بالحلف بغير الله :

" انه ادخال غير الله في التعظيم وهو كفعل اهل الشرك ويشبه به ، اذ كانت ايمانهم باباشهم وبما يعبدون من دون الله وقد أشرك غير الله في تعظيمه .

ولقد أورد الامام الشوكاني في (نيل الاوطار) الحديث بعبارة : " فقد كفر واشرك ،وقال :

" ان ذلك للمبالغة في الزجر والتغليظ ، وتمسك بهذا من قال بالتحريم .

وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول :

" لان احلف بالله مائة مرة فآثم ، خير من ان أحلف بغيره تعالى وابن مسعود يقول : (لان احلف بالله كاذبا احب الى من انأحلف بغيره وأنا صادق

وأكاد المح في سورهذه الكلمة كل يمين يحلف بها دون الله شرك من جوامع كلم النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن أحاديث اخرى في معناها انه صلى الله عليه وسلم أراد بحصر الحلف بالله في الله وأسمائه وصفاته ان تكون ملء وعى الحالف ، ومبعث تقديره وإدراكه حتى يعصمه ذلك من ان يزيغ قلبه عن الايمان بعرض من اعراض الحياة ، أو يضل رأيه عن الصواب لهوى يتوخاه فيحرف الكلم عن مواضعه ، ويحق بيمينه باطلا ، أو يبطل حقا .

" ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا أولئك لاخلاق لهم في الاخرة ولايكلمهم الله ولاينظر اليهم يوم القيامة

ولايزكيهم ولهم عذاب اليـم " (٧٧/ آل عمـــران)
وأن يكون ايثار الحالف بالله دون سواه اعراب عن تقديسـه
لربه ، واجلاله الحق لمولاه على جميع خلقـه .

فالحلف عادة لايكون الا بما يقدره الحالف ويكبـره ،وأن
يكون الحالف وهو يوثق قوله : ذاكر الله الذى يذكر من يذكـره
ويقول في الحديث القدسى : " أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركـت
بى شفتـاه " .

والله تعالى يقول : فاذكرونى أذكركـم .
(١٥٢/ البقـرة)

ويقول : " ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون "
(١٢٨/ النحـل)

هذا ، ولقد تورع عن مطلق الحلف كثيرون من السلـف .
قال الامام الشافعى رضى الله عنه ماحلفت بالله صادقا ولاكاذبـا ،
والشيخ محمد عبده رحمه الله يقول في تفسير قوله تعالي:
" ولاتجعلوا الله عرضـة لايمانكـم " (٢٢٤/ البقـرة)
" من مذام الحلف ان يقلل ثقة الانسان في نفسه ، وثقة النـاس
فيه ، فهو يشعر انه لايصدق فيحلف ، ولهذا وصفه الله تعالـى
فقال : " ولاتطع كل حلاف مهيـن " (القلـم/١٠)

وكثيرا مايعرض نفسه للخطأ ان حلف على المستقبل ، وأنـه
لايكون الاقليل الخشية والتعظيم لله تعالى ، لايهمه الا أن يرضـى
الناس ، ويكون موثوقا به عندهم ، فتعريضه اسم الله للحلف بدون

ضرورة ينشأ من فقد هيبته الله واجلاله من النفـــس "
وبعد ، فمع جواز الحلف بالنبى صلى الله عليه وسلم علـــــــي ما أسلفنا من معني تعظيمه بما خصه الله به ، وآثره من أصطفــاء وفضل ، فقد ورد في تنوير القلوب : " وأنه يخشى على من يكثـــر الحلف بالنبى صلى الله عليه وسلم ، بل أن قصد ذلك كفر والعياذ بالـلـــه " .

وقد آن أن أرد على سؤال قد غامر الاذهان ، كيف ورد فـــي القرآن الكريم قسم الله تعالى بمخلوقاته في الانفس والافاق ؟
وقسمه الله تعالى بحياة نبينا محمدا صلى الله عليه وسلــــم ؟
في قوله تعالى : " لعمرك انهم فى سكرتهم يعمهـــــون"
(٧٢/ الحجـــــــر)
كما أقسم سبحانه بالصافات والزاجرات ، واقسم بالنفس اللوامة يوم القيامة ، وبالفجر وليال عشر ، والضحى والليل اذا سجـــي والنجم ، ومواقع النجوم ، وبالشمس وضحاها وبالليل اذا عسعـــس وبالنهار اذا تنفس وغيرهـــا ....

ولاريب ان الله تعالى يحلف اذا شاء بما شاء ، وانه سبحانـه اقسم بهذه المخلوقات لاسرار فيها وقوى ومنافع ، كى يحفز منـــا العزائم على استخراج ما استكن فيها مما فيه خيرنا ورفاهتنـــا. وقد أخرجنا من الشمس ما أخرجنا من طاقة ، واعمال الفكر وأفراغ الوسع في استخلاص ذخائر هذه المخلوقات وتسخيرها لخيرنا مــــن مرادات الله تعالى في قسمه سبحانه بها " ومايذكر الا أولـــــو

الالبـــاب " فهلا نكون في طليعـــة أولى الالبـــاب ٠٠٠٠٠؟

وهذا القرآن يلفت أنظارنا الى أنفسنا فيما بلغـــــــــت وما يؤلفها من جوارح وأصفـــاء ، وماتواجهه من نوم ويقظه ،وما تمارسه من طعام وشراب ، وما يختلف علينا من رياح وأهواء فـــي ربيع وخريف وصيف وشتاء ٠٠٠

ان الله تعالى يضاعف بذلك المنـــة علينا ، ويضاعف الحجة على من لم يفرغوا الوسع في الانتفاع بمخلوقاته مسابقين غيرهـــم في مجالات التنمية والتعمير ٠

والله المستعان علي كل خيـــر ٠٠٠٠٠٠ ٠

مفهوم العبادات في الاسلام

أن الله تعالى لم يخلقنا عبثا ولن يتركنا سدى . قـــــال سبحانه : " افحسبتم انما خلقناكم عبثا ، وانكم الينا لاترجعون" (المؤمنـــــــون/١١٥)

وقال " ايحسب الانسان ان يترك سدى ، الم يك نطفة من منـــي يمني ، ثم كان علقه فخلق فسوى ، فجعل منه الزوجين الذكروالانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى "وصدق الله العظيـــــم " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون " .

وعبادة الله التى خلقنا سبحانه لها هى تشريف لنا وتكريـم وجل الله الذى لاتنفعه طاعة من أطاع ، ولاتضره معصية من عصــي وياويح الغافلين " تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهـــن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفـــورا " (الاســـــراء /٤٤)

ولله يسجد ما في السموات ومافي الارض من دابة والملائكـــة وهم لايستكبرون ، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون " (النحـــل /٤٩)

ودلالة قوله تعالى " من دابة " تزداد وضوحا في ضوء مثل قـــول الله تعالى " ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرهـــا وظلالهم بالغدو والاصال " (الرعـــد/ ١٥)

وقال تعالي : " الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب " (الحج/ ١٨) فمع من تكون ممن يسجدون لله طوعا ، أو يسجدون له كرها؟ وكل ماسوى الغافلين عن الله ، يعرف وظيفته أو تتحقق بنه ارادة الله تعالي لمن آمن وبر عدلا وفضلا ولمن جحد وكفر امهالا وابتلاء قال الامام ابن كثير في شرحه لاية ١٨ من سورة الحج ٠

يخبر تعالي انه المستحق للعبادة وحده لاشريك له ، فانه يسجد لعظمته كل شيء ، طوعا وكرها ، وسجود كل شيء مما يختص به كما قال تعالي :" الم يروا الي ماخلق الله من شيء يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون"(النحل/٤٨) أى منقادون صاغرون يذعنون بهذه الحركة لامر الله ومشيئته قال الامام ابن كثير - وانما ذكر الشمس والقمر والنجوم هاهنا علي التخصيص ، فهي داخلة في عموم الايات الكثيرة في هذا السياق لانها قد عبدت من دون الله لتبين انها تسجد لخالقها ، وانها مربوبة مسخرة قال تعالي : " لاتسجدوا للشمس ولا للقمر وآسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم أياه تعبدون " (فصلت/ ٣٧)

ورضي الله عن الامام احمد فقد ذكر مع قول الله تعالي : والدواب - مايشهد لما المحت اليه أول الكلام من قول رسول الله صلي الله عليه وسلم " لاتتخذوا ظهور الدواب منابر، أو

كراسي لاحاديثكم ، فرب مركوبة خير واكثر ذكرا لله تعالي من راكبها "

ان عبادة الله التي خلقنا لاجلها ابعد مدى من مجرد الصلاة والصيام والزكاة والحج علي جلالتها في دين الله ، فانها مع ذكر الله وشكره وتسبيحه وضرورة مراقبته فيما نأخذ من الامور وماندع انما هي معوان علي الاستجابة لله علي ماتعمر به الحياة وتكون اخرتنا علي مقتضاها " وان ليس للانسان الا ماسعي،وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفي ، وان الي ربك المنتهي " . (النجم/٣٩/ ٤٢)

وفي الحديث القدسي :

" ياعبادى انما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم أياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه .

لقد خلقنا الله في هذه الحياة ، لنوّدى واجبات ، وننهض بتبعيات ، ويسهم كل فرد منا في مكانه وبقدر امكانه في دفع مسيرة الحياة الي كمالها المقدور فذلك هو الاستخلاف الذى امتن به سبحانه علينا وهو يقول " وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق درجات ليبلوكم فيما اتاكم ان ربك سريع العقاب وأنه لغفور رحيم " . (الانعام/١٦٥)

روى ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال " كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته ، ان الامام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل في أهل بيته راع ومسؤول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم في مال سيده راع ومسؤول عن رعيته ، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته. - متفق عليه ، فلا يكاد أحد وراء هذا الحديث الا وهو يبدو مسؤولا عن عمل وهو مناط تقديره في هذه الحياة ، وفيما وراءها وهو المرآة التي ينظر الله الي عبده من خلالها .

أخرج الامام مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه .. قال رسول الله صلي الله عليه وسلم : " ان الله لاينظر الي اجسامكم ولا الي صوركم ولكن الي قلوبكم وأعمالكم " ...

وفي مسئولية المسلم عن عمله منتهي اعتباره وتقديره قال تعالي " ولكل درجات مما عملوا ومار بك بغافل عما يعلمون "

(الانعام/١٣٢)

ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لايظلمون ".

(الاحقاف/١٩)

وكما امر الله المؤمنين بما أمر المرسلين فقال :

" يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا الله ان كنتم أياه تعبدون " (البقرة/١٧٢)

وقال: " يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم " (المؤمنون/ ٥١)

وبين سبحانه لهم دستور ذلك وما وراء فقال : " يابني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق " .

(الاعراف/٣١/ ٣٢)

فقد شرف الانسان وكلفه وامره بالعمل في مختلف ميادينه ، وشتي مجالاته ، فقال تعالي : وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الي عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعلمون " (التوبة/١٠٥)

وقال تعالي: " فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون"(الجمعة/ ١٠)

وجعل الله سبحانه العمل قرين الايمان في كل اية أوجب الله فيها العمل أو وصف فيها المؤمنين ، والشواهد علي ذلك تطالعك كلما تناولت مصحفك وان كنت أذكر فيها قول الامام الشافعي رضي الله عنه " ان في القرآن الكريم اية لو عمل بها المسلمون لوسعتهم " " والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " (العصر /١/٢)

وفي اقتران العمل بالايمان دلالة علي ان الايمان بلا عمل لايبالي الله تعالي به ، وان العمل بدون ايمان قد يجزى به أهله في الحياة ولكنه في الاخرة كما قال تعالي في الكافرين .

" ... لابشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا وقدمنا الي ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا "

(الفرقان/ ٢٢/٢٣)

ورحم الله الامام أبا حامد الغزالي فهو يقول " العلم بلا عمل جنون ، والعمل بغير علم كيف يكون " ؟

والامام الغزالي ينظر فيما قال الي قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه " يهتف العلم بالعمل ، فإن أجابة والا أرتحل" وفي ارتحال العلم والتصرف علي غير هدى من الله الضلال وسوء المال قال تعالي :(ومن أضل ممن أتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لايهدى القوم الظالمين "

(القصص/ ٥٠)

الصبر والصلاة في حياة المؤمن

الصبر هو حمل النفس على مواجهة الصعاب بثبات ، والرضي بقدر الله وقضائه الرحيم في عباده ، واحتمال مشاق التكاليف الالهيــــه وأمتلاك النفس حتى لاتذهب بها مغريات الثراء وأضواء السلطان عـــن سواء السبيل ، والتصرف فيها بالحكمة والعمل الجليل ، مرضاة للــه وتكريما للنفس ، انه فضيلة مجدها القرآن والسنة المطهرة ، وأبـرز المثالية الرفيعة التى تحلى فيها الانبياء والمرسلون وصالحـــو المؤمنين وكرام الناس في عصور وأزمان بفضيلة الصبر في ظروف ضـرب الله فيها مثلا وهو يقـــول :

" لقد كان في قصصهم عبرة لاولى الالباب "

(يوســـــف ١١١)

وقال " أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتـــده " .

(الانعـــام / ٩٠)

قال الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده " والتحقيق أن الصبـــر احتمال وترك عمل نفسى أو بدنى ، وترك مايشق على النفـــس " .

وقال في قوله تعالى " يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبـــر والصلاة ان الله مع الصابرين " (البقـــرة / ١٥٣)

والمعنى استعينوا على اقامة دينكم والدفاع عنه ، وعلى سائـــر مايشق عليكم من مصائب الحياة بالصبر وتوطين النفس على احتمـــال

المكاره ، وبالصلاة التى تكبر بها الثقة في الله عز وجل ، وتصغر بمناجاته بها كل الصعاب والمشاق ، وأعظمها وأعمها المصائب المذكورة في قوله تعالى " ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات " وهى الحوائج الضرورية لكرامة الحى..

وقد تكلم الامام الرازى عن الصبر وجعله واجبا على الامر المكروه من الله ، وأستأنس بذلك بقول الله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه خير أطمأن به وأن .. أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين)

(الحج / ١١)

وفي تفسير الاية يقول الامام الشوكانى" أكثر المفسرين على أن الحرف الشك وأصله من حرف شئ أى طرفه مثل حرف الجبل والحائط فان القائم عليه غير مستقر ، والذى يعبد الله على حرف قلق لافي ثبات وطمأنينة كالذى هو على حرف الجبل ونجده يضطرب أضطرابا ويضعف قيامه " حتى قال : " بخلاف المؤمن فانه يعبد الله على يقين وبصيرة فلم يكن على حرف " .

ويبدو من سبب النزول أن من الناس من يرى الاسلام صفقة تجارية يجب أن تكون رابحة راجحة في ميزان مصلحة الانسان ، ولهذا فسر بعضهم الحرف في قوله تعالى حرف أى على شرط ، والشرط يبدو من الاية في قوله تعالى :

" فان أصابه خير أطمأن به وإن أصابته فتنة أنقلب على وجهه "

فهو يريد الحياة صفوا وما كانت هكذا لاحد أبدا .. ....

طبعت على كدر وأنت تريدهـا * صفوا مـن الالام والاكـدار
ومكلف الايـام ضد طباعهـا * متطلب في الماء جذوة نـار

وفي سبب النزول أخرج البخاري وابن حاتم وغيرهما عن ابن عباس قال: " كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت أمرأته غلاما وأنتجت خيله قال : هذا دين صالح ، وان لم تلد أمرأته ، ولم تنج خيله قال هذا دين سوء " وأذكر رواية من غير هذا الطريق عن أبى سعيد قال : " أسلم رجل من يهود فذهب بصره وماله وولده فتشاءم بالاسلام فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : أقلنى أقلنى قال ان الاسلام لايقال ، فقال : إنى لم أصب من دينى هذا خيرا ، ذهب بصرى ومالي ومات ولدى ، فقال : يايهودى ان الاسلام يسبك الرجال كما يسبك النار الحديد والذهب والفضة ونزلت الايـة ....

" ومن الناس من يعبد الله على حـرف ...." .

... وما أقدر المؤمن وهو يستعين بالصبر والصلاة كما أمر الله على أن يجد الله معه فإن الله مع الصابرين ، وهى تهوين الشدائد وتلطيف القضاء حين ينزل كما كان رسول الله يدعو مولاه فيقول :

" اللهم انا لانسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه " ذلك اللطف المتمثل في التجلد والاقتدار على مواجهة الاخطار ، والخروج منها بالرضى عن الله وسلامة الدين ، ويالها من أنعم كبار ، ان الصابر الحق هو ذلك الذى يملك نفسه ، ويصون بالثبات دينه ..

يقول الشاعـــــــــر :

وتجلدي للشامتين أريهمـــــــــو * * أني لريب الدهر لاأتضعضـــــــع

ولقد يتكلف الانسان الصبر والاحتمال والتجلد في أول الامــــــر، ثم تكون هذه بعد ذلك ملكة ، ولاريب أن طبيعة المرء أن يتأثر ويجزع ويهلع اذا مسه الشر وأصابه المكروه ، لكنه حين يعلم قدر فضيلـــــه الصبر ، ودلالتها على كمال الرجولة وتمام الشخصية الى ما أعد اللــه لصاحبها من عظيم الثواب وكريم الاجر ومايحفهم من تقدير وعلوشـــــان بين بني الانسان ، حرص عليها ، وأستمسك بحبلها والنبي صلى اللـــــه عليه وسلم يقـــــــول :

" الحلـــم بالتحلم " ويقول " ومن يتصبر يصبره اللـــــــه "

يقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله : " فالثابت على العمل فـــــي مثل هذه الحالة حالة مقاومة العادات والاعمال غير المشروعة واثبات الفضائل وازالة الباطل الى آخر ما قال الثابت في مثل هذا الحـــال على العمل هو الصابر وان كان في أول الامر متكلفا ومتى رسخت هـــذه الملكة سمى صاحبها صبورا وصبارا ، وليس كل متحمل للمكروه مـــــن الصابرين الذين أخبر الله في هذه الاية أنه معهم وبشرهم في الايـــة التي تليها وأثنى عليهم في آيات كثيرة بل لابد من العمل للحـــــق والثبات فيـــــــه " .

" والامام الرازي يرى ان الله تعالى قد خص الصبر والصـــــلاة بالاستعانة في قولـــــه :

" يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابريـن

لما في الصبر والصلاة من المعونة على العبادات " .

أما الصبر فهو قهر النفس على تحمل المشاق ، وتجنب الجزع ومبن حمل نفسه وقلبه علي هذا التذليل سهل عليه بذل الطاعات وتحمل مشاق العبادات وتجنب المحظورات وعموم اللفظ في فهم الصبر أولى من حصره في عبادات بعينها كالصيام والجهاد .

قال الامام الرازى : " وأما الصلاة والاستعانة بها فلانها يجب أن تنقل على طريق الخضوع والتذلل للمعبود ، والاخلاص له ، ويجب أن يوفر همه وقلبه عليها ، وعلى ما يأتى فيها من قرآن في تدبر الوعد والوعيد والترغيب والترهيب سلك هذه الطريقة في الصلاة فقد ذلل نفسه لاحتمال الشقة فيما عداها من العبادات ولذلك قال تعالى " وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر "

وقال ، ولهذا نرى أهل الخير عند النوائب مجمعين على الفزع الى الصلاة التى كان يفزع اليها رسول الله صلوات الله عليه في حوازب الامور ومشكلاتها .

والمؤمن يجد شدائد الحياة في تسلط من لايتقى الله ،وفوات حظ كان ينبغى أن يتوفر له في الحياة ، وفقد الاحبة الذين لهم امتداد له واصداء له في فرصة الوجود .. وما أسعده وأرضاه وهو يفزع بالتسليم الى مولاه بالكلمات الحوانى التىأرادها الله " انا لله وأنا اليه راجعون " .

وللشيخ رشيد رضا كلمات نضيفهاهنا جلاء وبيانا لفضيلة الصبر وجلال الصابرين يقول : " وصف الله الصابرين المستحقين للبشارة

بقولـــــه : (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا أنا لله وانا اليه راجعــون) أى قالوا هذا القول معبرين به عن حالهم ومقتضى ايمانهم وليس المراد بالقول مجرد النطق بهذه الكلمة على آن يحفظوها حفظا ويلفظوها لفظا وإن كانوا لايعقلون لها معنى ، وانما المراد التلبس بمعناها ، والتحقق في الايمان بأنهم من خلق الله وملك الله والـــي الله يرجعون فهو الذى بيده ملكوت كل شئ ، ولايفعل الاما سبقت بــه الحكمة وأرتضاه النظام الالهى المعبر عنه بالسنة ... بحيث ينطلـــق اللسان بالكلمة بدافع الشعور بهذا المعنى وتمكنه من النفس فأهــل هذا الاعتقاد والشعور هم الجديرون بالصبر ايمانا وتسليما بحيـــث لايملك الجزع نفوسهم ، ولاتقعد المصائب هممهم بل تزيدهم ثباتـــــا ومثابـــرة فيكونون هم الفائزون ".

الصلاة الخاشعـــــــة

عناية الاسلام بالنظام تبدو في جميع تكاليف الله تعالــــي للمؤمنين في الدين الخاتم صلاة وصياما وزكاة وحجا وجهادا وامــرا بالمعروف ونهيا عن المنكر وأدابا تبدأ بالطعام والشراب واللباس ونوم المؤمن ويقظته وسيره وحديثه مع الاخرين واستماعه لحديثهـــم والتردد على مجالسهم ودخولهم الى المساجد التى تعتبر وجها مـــن وجوه أنسانية الاسلام وشاهدا من شواهد استيعابه ووفائه بكل مايسعد المسلمين أفرادا وجماعات في دنياهم وآخرهـــــم .

وأنعام النظر في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم " رواه الخمسة عـــن النعمان بن بشير ، وقد اخرج البخارى ومسلم عن أنس رضى اللـــــه تعالى عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقبل علينا بوجهـــه ويقول قبل ان يكبر للصلاة : " تراصوا وأعتدلوا " ؛ انعام النظــر في ذلك وفيما وراءه يكشف حقيقة عناية الاسلام بالنظام في ركن مـــن أركانه وفي قاعدة الصلاة ثـــانية الاسلام بعد أن يأخذ المسلمـــون أنفسهم بأوامر الله تعالى غسلا ووضوءا وتيمما وما نفهمه مــــن قول الله تعالى : " يابنى أدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلـــوا وأشربوا ولاتسرفوا انه لايحب المسرفين قل من حرم زينة الله التـــي اخرج لعباده والطيبات من الرزق " (الاعــــراف ٣٢/٣١)

وأننا لنرى مع ذلك النظام صور الطاعة ووحدة العمل فــــي أتساق ومطاوعة ومتابعة يوجبها رسول الله صلى الله عليه وسلـــم

فيما روى ابو هريرة رضى الله عنه : " إنما جعل الامام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه فاذا كبر فكبروا واذا ركع فاركعوا واذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا : اللهم ربنا لك الحمد واذا سجد فاسجدوا واذا صلى قاعدا فصلوا قعودا " (اخرجه الشيخان)

اننا ندخل في الصلاة بدخول ذلك الامام وننصت لقراءته ونركع لركوعه ونعتدل باعتداله فاذا هوى الى السجود كنا له تبعا لانستقدم ولانستاخر حتى لايبوء أحد بالنذير العريان في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أما يخشى من يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار " (رواه ابو هريرة وأخرجه الجماعة)

وفي الحمار من نكر الصوت وغلظ الطبع ما ينبغى ان يترفع العقلاء عن ان يكون لهم أدنى شبه وأى ايمان لمن خالف الامام وشذ عن الجماعة قيد شعره ؟

إن الجماعة سمة الاسلام المميزة والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " يد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار " ويقول : ان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد .

وقد زاد الرسول الامامة شرفا وضاعف من حق الامام الذى قدمه فضل علم وصلاح وورع ليس يغنى عنها مظهر لاينم عن مخبر ولاتكون الاحساب والانساب والبروز في درج المجتمع بديلا عن هذه الفضائل بحال .

ومن استشرف للامامة التى لاترشحه لها خصيصة وفرض نفسه على ذلك كان من ثلاثة يقول فيهم الرسول عليه الصلاة والسلام :

" ثلاثة لاترفع صلاتهم فوق رؤوسهم شبرا : من أم قوما وهم له كارهون وأمرأة ماتت وزوجها عليها ساخط ، وأخوان متصادمان "

(رواه ابن عباس وأخرجه ابن ماجـــة)

إن صلاة نتطاوع فيها ونتابع الامام ملتزمين في اقوالهـــا وأفعالها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " صلوا كمـــا رأيتموني أصلي " نستشعر فيها صفو الصلة بالله تعالى وتنمو فينـا قرة العين بالخشوع لربنا سبحانه وقد ذكر الله تعالى بين صفـات المؤمنين في صدر سورة " المؤمنون " قوله : " والذين هم في صلاتهم خاشعون " وأخرج البيهقي في سنده قول سلمان رضى الله عنه " الصلاة مكيال فمن أوفى أوفى له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله للمطففين" وقد رأى سعيد بن المسيب رضى الله عنه رجلا يعبث في لحيته في الصلاة فقال : لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه "

" اخرجه الامام البغوى في كتابه شرح السنـــه

جـــزء ٢ "

قد ذكر صاحب طبقات الحنابلة عن ابى حيان الرقى قال : سئـل الامام احمد بن حنبل - وأنا حاضر - : مامعنى وضع اليمنى علـــى اليسرى في الصلاة ؟ فقال : ذل بين يدى عـــز .

وما تكون الصلاة معراج المؤمن ولاتنادى بالمصلى الى ان يكـون أقرب من ربه وهو ساجد الا باستشعار جلال الله واستحضار عظمته علـى النحو الذى لايدع فرصته للشيطان يقذف فيها وساوسه ودسائسه وتلبيسه في روع الذي أقبل على الله ودخل في حظيرة القدس ... الصـــلاة .

وهذا عكرمة رضي الله عنه يروى ان ابن عباس رضي الله عنهما قال :" ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه ٠

ان السهو والنسيان وهجوم بعض الخواطر علي الانسان من الامور التي نواجهها في الصلاة وغيرها حيث لاسلطان للمرء عليها لكننا نضائل - والمستعان الله تعالي - فرصتها وتحول هجومها جهد استطاعتنا بتدبر مانقول ونعمل فللمتفكرين المتدبرين مكانهم ومكانتهم في آيات ذوات عدد في كتاب الله تعالي وسنة رسوله صلي الله عليه وسلم ورحم الله ابن أبي جمرة فهو يقول : " المرغب فيه التدبير في القراءة وان قلت وهو خير من كثرة القراءة بلا تدبير وفائدة التدبير هي أن تعرف معني ماتقرأ من الآى"

والكلمة وهي في تدبر القرآن الكريم تنسحب علي اعمال الصلاة وأقوالها ، وسائر ماتتحرك به جوارح المؤمن المكلف المسؤول، وفي الحديث القدسي :

قسمت الصلاة بيني وبين عبدى ... الحديث .. والله عز وجل يريد بالصلاة هنا سورة الفاتحة ٠

وابن مسعود رضي الله عنه يقول : سأل رجل رسول الله صلي الله عليه وسلم اى الناس احسن قراءة- او صوتا - بالقرآن فقال صلي الله عليه وسلم :"الذى اذا سمعته رأيته يخشي الله " ٠

ان خشية الله والخشوع له سبحانه شاهدا ايمان وتقوى وقد رووا : " ان الخشوع أول مايرفع من الناس" ولايخفي علي أحد مجيء الصلاة المفروضة في أوقاتها المتباعدة فان مراد الله عز وجل بذلك أن تصلح أنفسا شغلتها الحياة وأذهلتها عن واهب

الوجــود سبحانــه .

ودنيا الناس تصرخ بندرة الذين يخشون ربهم ، فالاخبار فـــي الدنيا قليلون وانهم لعمام أمن الوجود وبواعث الامل في غد يكــون فيه المجتمع المسلم بالعقيدة والعمل والدعاوى والشعارات خير أمة أخرجت للناس وقد أخرج الامام البخارى بسنده قول رسول الله صلــي الله عليه وسلم : " ... ولاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحــق لايضرهم من خالفهم ولامن خذلهم حتى يأتى أمر الله " .

وقد أخرج الحاكم عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قـــال: " يوشك أن تدخل المسجد فلا ترى فيه رجلا خاشعا " وأخرج ابن أبـــى شيبة وأحمد في الزهد والحاكم وصححه من حديث حذيفة بن اليمان قـال "اول ما تفقدون من دينكم الخشوع وآخر ماتفقدون من دينكم الصلاة "

وأود أن نفهم الخشوع على حقيقته في ضوء قول رسول الله صلـــي الله عليه وسلم : " التقوى ها هنا واشار الى صدره صلى الله عليه وسلم " وان اماما جليلا هو الامام الغزالى وكثيرين يرون الصلاة التي فقد صاحبها الخشوع فيها لاترفع فوق رؤوسهم شبرا .

قال ابن حجر : " ويسن الخشوع في الصلاة كلها بقلبه بأن لايحضـــر فيه غير ماهوفيه وأن تعلق بالاخرة جوارحه بأن لايعبث بأحدهـــا وظاهر أن هذا مراد الامام النووى من الخشوع " .

ويرى العلامة الالوسى ان الخشوع شرط في صحة الصلاة وكأنـــه يعنى أن حدوثه في جزء من الصلاة مما يرجى به قبولها ، ثم قـــال: ويكره الاسترسال مع حديث النفس والعبث بتسوية عمامة أو رداء " .

فهل يفهم ذلك أولئك الذين يسمعون للخطباء والمتحدثين وكأن على رؤوسهم الطير فاذا قاموا الى الصلاة فكان حشرات الدنيا تلسعهم من شتى جهاتهم فهم لايعطون الصلاة حقها من النظام والطاعة والخشوع وآدب الاقبال على الله والدخول معه في تلك العبادة الجليلة " ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة أنك أنت الوهاب ."

ان صلاته ستنهـــــــاه

ان الله تعالى ليس له حاجة في صلاة لم ترتفع بصاحبها عـــــن الفحشاء والمنكر ،وهو تعالى يقول لمصطفاه صلى الله عليه وسلـــم " اتل ما أوحى اليك من الكتاب واقم الصلاة ،ان الصلاة تنهى عـــــن الفحشاء والمنكر ولذكر الله اكبر والله يعلم ماتصنعون "

(العنكبـــــوت/ ٤٥)

وابتداء الاية بتلاوة الكتاب الذى أوحى الى الرسول أمر له صلي الله عليه وسلم ولامته ،فما اوحى الله الى مصطفاه القرآن الاليبلغه الى الناس ،وليبينه لهم ،" وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانـزل اليهم ولعلهم يتفكرون " (النحـــــل / ٤٤)

" وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى أختلفوا فيه "

(النحـــــل/ ٦٤)

وتخصيص الصلاة ههنا لانها عماد الدين ،وفيها القراءة والابتهـــال والامتثال ،واشتغال الجوارح ماظهر منها ومابطن بالله ،فقد قـــال المفسرون واهل التذوق لاشارات الله تعالى : " ان الصلاة تنهـــى صاحبها وممتثلها عن الفحشاء والمنكر وذلك لما فيها من تلاوة القرآن المشتمل على الموعظة ،والصلاة تشغل كل بدن المصلى .

فاذا دخل المصلى في محرابه ،وخشع واخبت الى ربه ،واذكر انه واقـف بين يديه ،وانه مطلع عليه ،يراه ويعلم سره ونجواه ،صلحت لذلـــك

نفسه وتذللت ،وخامرها ارتقاب الله تعالى ،فظهرت على جوارحه هيبتها ولم يكد يفتر عن ذلك حتى تظله صلاة اخرى ،يرجع بها الى أفضل حالـة

ذكر ذلك الامام القرطبى ،ثم قال : " لاسيما اذا اشعر نفسه أن هذا ربما كان آخر عمله ،واشار الى رجل كان كلما دخل في الصلاة ارتعدت فرائصه ،وتغير لونه ،فلما كلموه في هذا قال : انى واقف بين يدى الله تعالى ،وحق لى ذلك مع ملوك الدنيا ،فكيف مع ملك الملوك ؟

واذكر ان على بن ابى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه كان اذا قدموا له ماء الوضوء اعتراه مااعتراه من هيبه ورهبه واختلاج ،فلما سئل في ذلك قال : " أتدرون بين يدى من أقوم " ؟

وصلاة هذا شأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ولاشك .

يقول الامام القرطبى " ومن كانت صلاته دائره حول الاجزاء ولاخشوع فيها ولاتذكر ،ولافضائل ،فتلك تترك صاحبها من منزلته حيث كان،فان كان على طريقه معاصى تبعده عن الله تعالى تركته الصلاة يتمادى في بعده ،وعلى هذا يخرّج الحديث المروى عن ابن مسعود وابن عباس والحسن والاعمش " من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله عز وجل الا بعدا " .

وابن عطيه يورد عن ابيه كلاما ملخصه " ان الصلاة التي لاتبعد العاصي عن الله كأنها معصية ،وانما يتخرجه ذلك على انها لاتؤثر في تقريبه من الله ،بل تتركه على حالة صاحبه من الفحشاء والمنكر ،فلم تزده الصلاة الا تقرير ذلك البعد الذى كان سبيله "

وقد قالوا لابن مسعود رضى الله عنه : " ان فلانا كثير الصلاة .
فقال : انها لاتنفع الا من نهتـــــه " .
وطاعتها مراقبة الله تعالى بعدها وقد كان فيها بالسجود أقرب ما يكون من ربه سبحانه وتعالى ان تطغى عليها شواغل العيش ،وفتن الحيـــاة ، ومطامع النفس ، الامارة بالسوء ،والسقوط في اودية الشهوات مــــع الغافلين وفي الحديث القدسي الذى يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى " ليس كل مصل يصلى ، انما اتقبل الصــلاة ممن تواضع لعظمتى ،ولم يستطل بها على خلقى ،وكف شهواته عن محارمي ولم يصر على معصيتى ،وآوى الغريب ،كل ذلك لى ،وعزتى وجلالى ان نور وجه المصلى لاضوأ عندى من نور الشمس ،على أن اجعل الجهالة له علما والظلمة نورا ،يدعونى فألبيه ،ويسألنى فأعطيه ،ويقسم على فأبــره مثل عبدى المؤمن عندى كمثل الجنة لايتسنى تميرها ،ولايتغير حالها .

وابن كثير يورد قول ابى العالية : " ان في الصلاة ثلاث خصال ، وكل صلاة لايكون فيها شئ من هذه الخلال فليست بصلاة الاخلاص والخشيــة وذكر الله ، فالاخلاص يأمره بالمعروف والخشية تنهاه عن المنكــر ، وذكر الله القرآن " .

وابن عون الانصارى يقول " اذا كنت في صلاة فأنت في معروف وقــد حجزتك عن الفحشاء والمنكر والذى انت فيه من ذكر الله أكبر ، اى اكبر من كل شئ واختار ابن جرير من ابن عباس رضى الله عنه في قولـــه تعالى " ولذكر الله اكبر ، ان ذكر الله اياكم عندما امر به او نهي عنه اذا ذكر نحوه اكبر من ذكركم ايــــاه ".

قال الامام القرطبى " ولذكر الله اكبر " اى ذكر الله لكم بالثواب والثناء عليكم اكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم .

وذكر حديث ابن عمر يرفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم في الاية : " ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه " .

وما أكرم ربنا وأمنه ،" فاذكرونى اذكركم " (البقرة/١٥٢)

وفي الحديث القدسى : " انا مع عبدى ماذكرنى ،وتحركت بي شفتاه "

وذكر الله تعالى عنوان ضخم لسائر العبادات ،فما ذكر الله بحق من اشرك بالله سواه ،ولاذكر الله مثقال ذرة من ترك الصلاة ،ولاذكرالله قيد شعرة من ضيع ماوراء ذلك من اركان الاسلام او غفل عن الله واتبع هواه ،وقد أبصر من قال :

" ذكر الله يمنع من المعصية ،فان كان ذاكرا له لايخالفه " .

قال ابن عطية : " وعندى ان معنى " ولذكر الله اكبر " على الاطلاق أى هو الذى ينهى عن الفحشاء والمنكر .

وكذلك يفعل في غير صلاة ،لان الانتهاء اى عن الفحشاء والمنكر لايكون الا من ذاكر لله ،مراقب له ،وثواب ذلك ان يذكره الله تعالى .

وفي الحديث القدسي :" من ذكرنى في نفسه ذكرته في نفسي . ومن ذكرنى في ملأ ذكرته في ملأ خير منه .

وما أجل ذكر الله لذاكريه ،انهم بذكره يتحامون معاصيه ،ويتقون الخلاف عن امره ،وهو معكم اينما كنتم " (الحديد/ ٤)

وهو يذكرهم فيفيض عليهم الهدى ونور العلم " واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شئ عليم " (البقرة / ٢٨٢)

ومن شعر الامام الشافعى :

شكوت الى وكيع سوء حفظـــــــى * فارشدنى الى ترك المعاصـــــي

واخبرنى بأن العلم نــــــور * ونور الله لايهدى لعاصـــــي

ان الذين يقيمون الصلاة وهم مايزالون يقارفوق بعض المعاصـــي حاجتهم ماسة الى التزام الصلاة ،والنظر فيها ،وتدبر اعمالهـــــا وأقوالها ،وتصحيح مداخلها وأحوالها .

وعن انس ابن مالك رضى الله عنه قال " كان فتى من الانصاريصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولايدع شيئا من الفواحش الاأرتكبه فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال :

" ان الصلاة ستنهـــــاه " .

فلم يلبث ،ان تاب وصلحت حاله ،فقال النبى صلى الله عليه وسلم " الم اقل لكم ؟ وطوبى للمتقيــــــن .

كل عمل المؤمن لله

لقد نوه الامام البخارى في كتاب العلم من صحيحه فقال :
باب العلم قبل القول والعمل " واستأنس بقول الله تعالى :
" فأعلم انه لااله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
والله يعلم متقلبكم ومثواكم " (محمد / ١٩)
ودلالة العلم جلية لاتخفى ،فما يصلح القول ولاالعمل الا عن علم
بما يكونان به من مراضى الله عز وجل .

وقد شرف الله العلم ونوه بالعلماء ،وكان مدادهم أهلا لان يوزن
يوم القيامة بدماء الشهداء لان العلم النافع منطلق كل خير في
العقيدة والعبادة والسلوك والتصرفات .

فمن عرف الله تعالى كما ينبغى ان يعرف سبحانه خالق كل شىء
وملكيه ،والمتصرف فيه بحكمته ورحمته ،ورب الاولى والاخره لاقدرة
فيهما ولاسلطان لاحد مع سلطانه ،والخلق في العاجلة يرشدون فيجدون
الله في عونهم ،يده فوق أيديهم وهو عن ايمانهم وشمائلهم ،يدبر
الامر ويفيض الخير " وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لايمسهم
السوء ولاهم يحزنون " ويذكرونه ،ويشكرونه فيزيدهم من أنعمه ،ويتلقون
مايشق عليهم من قدره الرحيم وقضائه الكريم بالرضى فيتداركهم لطفه
وقد يبلغ القضاء مبلغه منهم فيصبرون على دفعة ويتجلدون لشديد
لذعة ،فيكتب الله لهم اجر الصابرين ،وما أجله "وانما يوفى
الصابرين أجرهم بغير حساب " (الزمر/١٠)

وقد يفوت الرشد والسداد اقواما لم يعرفوا حق الله عليهم
وهم يجزعون لمس ضر ، او فوات خير ولو ابصروا لعلموا أن الله
أرحم بهم من الوالدة بوليدها وكم كانت الشدائد ملهمة معلمة
راجعة بأهلها الي يسر لم يكن لهم في حساب .

قد ينعم الله بالبلوى وأن عظمت
ويبتلي الله بعض الناس بالنعم

والاستغفار من الذنب ، وحركة المرء في عمله ، واستقراره بعد ذلك
في مشواه من خير الاعمال ، والله تعالي يقول :-

" اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور "....

(سبأ/١٣)

وعمل المؤمن يكون أول مايكون لله تعالي وحده ، والله
تعالي يقول لمصطفاه : " قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله
رب العالمين لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين .

(الانعام- ١٦٢)

ويقول له : " قل انما انا بشر مثلكم يوحي الي انما الهكم اله
واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا .....

(الكهف / ١١٠)

وقد سئل أحد الائمة عن العمل الصالح فقال : أخلصه ، وأصوبه
فلما سئل في ذلك مرة آخرى قال : ان العمل لايكون صالحا الابشرطين
الاخلاص وأرادة وجه الله به والصواب وهو موافقته لهدى النبي
صلي الله عليه وسلم .

قال الامام ابن كثير .. وهذان ركنان للعمل المتقبل لابد ان يكون

خالصا لله ، صوابا علي شريعة رسول الله صلي الله عليه وسلم
والمؤمن بعمل لنفسه ولزوجه ولاصوله وفروعه ، وذوى رحمه وجيرانه
واخوان فرصة زمانه ، فيستجيب في ذلك كله لامر ربه ، ويلتزم سنة
نبيه ، فلا يغدو شيئا من قول رسول الله صلي الله عليه وسلم :
" ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ، ثم أدناك أدناك " .....

وهو ارشاد نبوى لم يفت من البر شيئا ، فلو أن كل فرد
ذكرا كان أم انثي استعان بالله تعالي ، واستهداه فعمل لنفسه
ثم لمن ذكرت ، ما وجدنا احدا فاته خير، ولااعوزه من يجير في
محنه ، او يواسي في شدة ... وحينئذ تكون الحياة الطيبة عاجل
بشرى الله للمؤمنين الذين انتهجوا منهجه واتبعوا رسول الله صلي
الله عليه وسلم ، ان الانسان مدني بطبعه - كما يقولون - أي انه
لايستقل في الحياة بنفسه ، ولايستغني بحال عن بني جنسه ، فهو اما
غني ذو مال واعمال ، فحاجته الي العمال ماسة لمواصلة الاعمال
وتثمير الاموال واما عامل هو واخوانه وقود حركة الوجود وسواعده
القوية ، ولابد أن يؤدى هؤلاء عملا ليحققوا املا ، ويحصلوا بشريف
الوسائل ومن احسن الوجوه ماكتب الله لهم من رزق ، يسد حاجتهم
او يغنيهم من أن يكونوا عالة علي من يحتملهم اليوم ويضيق ذرعا
غدا ولو عقل هؤلاء لقدروا حاجة الناس اليهم ، واعتبروها فضلا
يترادف من الله عليهم .

ومن كلام امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
ورضي الله " ياسبحان الله ، ما ازهد كثيرا من الناس في الخير

عجبت لرجل يجيئنه أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير اهلا ،فلو كنا لانرجو جنة ولانخاف نارا ، ولاننتظر ثوابا ولانخشي عقابا لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الاخلاق ، فانها تدل علي سبيل النجاة .

ان الله قسم بيننا أرزاقنا ، وليس من وسع عليه في الرزق رضي الله عنه لامحالة ، ولامن قتر عليه رزق وزوى عنه بعض مايريد قد سخط عليه ومقته قال تعالي :" فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي أكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهان ، كلا " (الفجر - ١٧/١٥)

أى ليس الامر كما فهموا وتوهموا ، والله تعالي يقول :

" ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لايشعرون " (المؤمنون٥٥ / ٥٦)

ان تقدم البشرية في عالم المادية ملحوظ لايخفي وعطاء هذا التقدم في حياتنا اليومية في انفسنا وعن ايماننا وشمائلنا ومن بين ايدينا ومن خلفنا ، ومن فوق رؤسنا وتحت أرجلنا ، ان كان جليا كان مأنوسا فأن ظاهرة تقارنه بل انها لحقيقة تقض مضاجع الاسوياء المنصفين في جوانب هذا الكواكب ، فهم يرون ماتصنع الالات المتطورة والتكنولوجيا التي انبثق عنهما الفكر الانساني، ثم لم يلبث أن انبهر بها واستثمرها .. أو أكثرها في ارواء شهواته ، وتوفير ملذاته وتيسير وسائل السيطرة وقهر الاخرين عدوانا وظلما حين جعلها ادوات ابادة وتدمير ، وأكتوى بنارها ، وكان معها كما قيل :

كناحت صنما يوما علي يده * وبعد ذلك يرجوه ويخشاه

ولو ان القوم وجهوها الي البناء والتجهيز ، والتنمية والاصلاح والتنوير لاجتنوا جناها ، ونعموا بثمرات البحث والنظر والدراسة والعلم الذى اسجد الله به الملائكة المقربين لابي الناس آدم عليه السلام ، وفي ذلك مافيه من التكريم لادم وذريته ممن يحرص علي تحصيل العلم الذى تصح به العقيدة ، وتصلح العبادة ،ويحسن السلوك وتبلغ الحياة كما لها الذى استخلفنا الله فيها من آجله .

قال تعالي :

" وهو الذى جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم " .

(الانعام/١٦٥)

ان الحاجة ماسة الي هدايات الله ، ووحي السماء لتزكية الارواح ، وكبح جماح الشهوات المسيطرة في كثير من المجتمعات المعاصرة ، علي نحو يشبه الردة الي الجاهلية التي تدارك الله منها الناس بمحمد عليه الصلاة والسلام .

فانهضها من كبوات ، واقالها من عثرات ، وهداها بآذن ربها من ضلالات الشرك وعبادة الذات الي توحيده ، والتزم أوامره ونبذ مانهي عنه سبحانه وحذر منه ، " وهو الذى بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ......" (الجمعة / ٢)

لقد من الله علي المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوعليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي

ضلال مبيـــــن " ٠٠٠٠٠

(آل عمـــــــران / ١٦٤)

فلنجرد علي هدى الله وسنن رسوله ، اعمالنا لله لتحســـــن

الحياة ويطيب المصير " وماتجزون الابما كنتم تعلمون " ٠٠٠٠٠

الوحدانية اليـــــــوم

وحدانية الله تعالى اليوم في الاسلام وحده ، كما كانـــت رسالة كل رسول دعوة كل نبي ،" ان أعبدوا الله مالكم من الـــه غيـــــره " .

وأى كلام تنشره صحيفة او تدعو اليه مؤسسة ، وأى حوار فـــي الداخل والخارج حول ما يسمى " وحدانية التثليث " أو محاولـــة اثبات علاقة بين الاسلام في تفرده اليوم بأنه " دين الوحدانيـــة" وبين " وحدانية المسيحية " انما هو كلام يحمل " حيثيات" تكلفـــه وبطلانه ، وهو ترديد لاراء ومزاعم ركز عليها القرآن الكريم مـــن قديم بحججه وبراهينه على نحو لايدع حاجة الى بينة أو شاهد.

ان روما مازالت تزيد وتنقص في الانجيل ، وتفسر فيما وراء ذلك من نصوصه البشرية التى لاصلة لها بالسماء ابدا ، ابتغـــاء دنيا مؤثره بارضاء هذا المذهب او تلك القوة المسيطرة فمـــا لروما والاســـلام ؟

أن مـن الظلم بمكان ان نقارن بين " الوحدانية في الاسلام" وهى كل الاسلام عقيدة وعبادة وسلوكا ، لا يكون راشدا الا حيـــن يكـــون ثمـــرة عالـــم واثق بأن الله يرانا ويعلـــم سرنا ونجوانا ، ويزكو عمل انسان لم يتقيد بالحق يعتقده ويقوله ويدعو اليه ويقنع به الاخرين بشرط الاسلام في الحكمة والموعظـــة الحسنة ، وأن نرى في نور الاسلام فرق مابينه وبين الرســـــالات السماوية التي أدى المرسلون أمانتها ، وجاء الاسلام بعدها مهيمنا

عليها ، قائما مقامها ، وذاهبا بعالميته الى مختلف جوانب الدنيا ، وحيث يعيش عاقل واحد تعتبره رسالة رحمة الله للعالمين محمد صلى الله عليه وسلم " وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لايعلمون "

(سبأ / ٢٨)

أن عيسى عليه السلام قد دعا الناس الى عبادة الله - وحده شأن موسى ومن تقدمهما وقفى على اثارهما حتى قال تعالى لخاتمهم صلوات الله عليه وعليهم اجمعين " وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون "

(الانبياء / ٢٥)

وفلاسفة اليونان والحكماء الاسوياء قد أنفقوا أعمارهم في توكيد توحيد الله ، فقرب اكثرهم من الحقيقة الازلية الابدية حينا وضل عنها اخرون وقعدت ببعضهم عقولهم ووسائلهم عن الاهتداء الى هذه الحقيقة التى تتراءى وتثبت بالفطرة ولاول نظرة وفكرة .

هذا سقراط يقول يوما لتلاميذه :

" يجب ان تعرفوا ان الهكم واحد" .. وقال افلاطون " الله واحد لاشريك له ، والا لحد الشريك من سلطته التى لاتثبت له الكمال الا اذا كانت لاحد لها " .

وهو بهذا يرى نورا من قول الله تعالى "لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ".

(الانبياء / ٢٢)

وقوله :" ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل

اله بما خلق ولعلا بعضهم سبحان الله عما يصفون "

(المؤمنون / ٩١)

ويقول ارسطو : " مما يدل على وحدانية الله انتظام العالم وتناسق حركاته " ..

ومرة آخرى ، فاننا نذكر بقول الله تعالى "لو كان فيهما الهة الا الله لفسدنا " ايبقى توحيد الله وتنزهه عن الشريك والصحابة والولد ، موضوعا شائكا يحتاج الى الطرح والحوار والمناقشة ، كما قال احد الصحفيين وهو يتحسر لان كاتبة واحدة هى التى كتبت " الي روما " في هذه المسألة البالغة الخطورة السياسية والاجتماعية والثقافية ، وأهتم به " في روما " منظمو ندوة " الوحدانية في الاسلام والمسيحية " ... زعموا ......

أن بعض المفكرين في الداخل والخارج يقهرهم وهم من الاوهام فلا يزالون به حتى يحاولوا ان يشغلوا الناس عن " التوحيد" الذى هو كما اسلفت لب الاسلام وقلبه واطاره ومحتواه ، ومنطلق المسلم الذى يقول مع الشاعر :

وغضت طرفى عن سواك فلم

أجد قي الكون غيرك من اله يعبد

والعلم المجرد من اهواء الادعياء يبرز بكثرة مثل قول " هرشل" الانجليزى " كلما اتسع نطاق العلم كلما أزدادت البراهين الدامغة على وجود خالق أزلى واحد ، لاحد لقدرته ولا نهاية " .

وتاريخ النصرانية حافل بكثير من شهداء " التوحيد" الذين

أعلنوا شهادتهم بالواحدانية المبرأة من الاضافات التى تشيع في اجواء الوحدانية المعاصرة .

وقد يكفى مثلا " اريوس" فقد قرر ان الله – وحده – هو الاله الاصلى الواجب الوجود ، اما الابن والروح القدس ، فهما كائنان من خلق الله ...

وترتليان الفيلسوف النصرانى يقول " اننا بريئون من الذين ابتدعوا رواقية او افلاطية ، او جدلية بعد المسيح والانجيل لسنا بحاجة الى شئ " .

ثم ان الهية المسيح " ومكانه في الثالوث مما انكره جهرة الاسقف " نسطور " وأسألوا التاريخ .

أن نسطور يقرر ان المسيح عليه السلام ، انسان كسائر الناس مملوء بالنعمة والبركة .

وتابعه في ذلك كله علماء من النصارى معاصرون ، لايصعب على من يريد مزيدا من النصوص تحصيل كلامهم .

"ان بعض الديانات الكبيرة التى نشأت على الشرك – كما يقول السيد ابو الحسن على الندوى في كتابه " السيرة النبوية ونشأت على تعدد الالهة ، وأمتزجت به لحما ودماء ، اضطرت في الاخير الى ان تعترف ولو بصوت خافت وهمسة في الاذان .. ان الله واحد ، لاشريك له ، وارغمت على تأويل معتقداتها المشركة تأويلا فلسفيا يبرئها من تهمة الشرك والبدعة ، وتجعلها متشابهة لعقيدة التوحيد في الاسلام بقدر ما ، وبدأ رجالها وسدنتها يستحيون من

الاعتراف بالشرك ، ويخجلون من ذكره ، وأصيبت هذه الانظمة المشركة كلها بمركب النقص ، والشعور بالصغار والهوان " .

ان تفرد الاسلام بالوحدانية على مستوى لايذكر معه أى توحيـــد فلسفى في المسيحية أو غيرها .

ومن ضلال العقول ، وفضول القول ، ان نظلم الحكمة فنجعلهـــا عنوانا لكلم نصرانى قومى عاش بفكرة سياسية تغلف حقدا دفينـــا على الاسلام ، ومات صريع ضلاله ، فلم يجد بعض الكاتبين مايشغل بــه حيزا في صحيفته الا قول هذا القومـــى :

" كلنا مسلمون ، منا من اسلم لله بالقرآن ..ومنا من اسلـم لله بالانجيل .. ومنا من اسلم لله بالحكمـــة " .

أى اسلام يعنى هذا "الحكيم " والله تعالى يذكر لنبيه الخاتم ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم بعض ملامح الايمان ليأخذ به مــن أدعوا أن الهدى في أتباع اليهودية أو النصرانية ثم قال :

" فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وأن تولـــوا فانما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، صبغـــة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون قل أتحاجوننا فـــي الله وهو ربنا وربكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون

(البقـــرة ١٣٧/١٣٩)

... فهل أخلص يهود ونصارى العقيدة ، وجردوا القصد في العبادة ، وتوجهوا الى الله — وحده — في كل أمـر ؟ ...

أن بعض الكاتبين يحلو لهم ان يزجوا الناس في متاهات مثـــل

هذا الكلام الذي تسود به اقلامهم بعض الصحف ، ويشغل الناس عن التزام الاسلام عقيدة وعبادة وسلوكا وصدق توجه لله بمثل ندوة روما الشفوفة بالوحدانية التي حاولت ان تعقد نسبا بين " الاسلام والمسيحية " فيها على ما هى عليه الان ، ولاعلى ماكانت عليه وعيسى عليه السلام يبرأ ممن اشركوه وامه مع الله في الالوهية والعبودية كما قال تعالى :

"واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله قال سبحانك مايكون لى ان أقول ماليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم مافي نفسك انك أنت علام الغيوب ، ماقلت لهم الا ما أمرتنى به ان أعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم وأنت على كل شهيد"

(المائدة ١٨٦/١٨٧)

ان الاسلام مستهدف ، يصطلح على العدوان عليه كثيرون ، وما يجهل أحد هذا التمازج الظاهرى القائم بين اسرائيل ونصارى احد أقطارنا في مواجهة المسلمين من خارج هذا القطر ومن داخله ، ولا بأس على الاسلام من تآمر الذين بين بعضهم وبعض كحز المدى ان رعينا نحن الاسلام والتزمناه وحمينا حماه ، واستعنا في ذلك بالله لابالذين يناصرون اعداءنا جهرة ويعقدون معهم ماأعلنته اميركا واسرته من احلاف مع الصهيونية التى تخسر ميزان الانتخاب لمن لا يجرون معها في سباق الضلال والنفاق .

وحرب الاذاعات من أم درمان وقبرص وغيرها وهى تبشر بالانجيل

وحركات الاثم من حولها وهي تقتنص السذج وضحايا الفقر والمرض في أقطار وديار تلقي التراب في وجوه الذين يتنادون لاثبات وحدانية نصرانية في مواجهة الوحدانية الحقة التى ورثها الاسلام من رسالات الله الاولى ، وساوق بها وحي الله في الدين الخاتم فطرة الله التى فطر الناس عليها .

العلم والعمل والايمان في مفهوم الاسلام

جاء في جريدة القبس الكويتية مايأتي :

بدأ المحاضر بتعريف الايمان ، وأكد أنه عقيدة وعمل كما أبرز من القرآن الكريم ملامح الايمان ، مثل قول الله تعالى: " آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير " (سورة البقرة ٢٨٥)

وقول تعالى " إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون " (الحجرات ١٥)

الايمان ..

وبين الشيخ معوض الفرق البعيد بين الايمان في الاسلام ،وبين الايمان في العقائد الوضعية ، حيث أبرز معطيات الله تعالى للمؤمنين من ولايته ونصره وتمكينه لهم في الارض ودفاعه عنهم ، وأعزازه لهم ، وهدايته أياهم ، وتوفير رزقهم ورغد عيشهم، حيث

ـ ضمن موسم المحاضرات الرمضانية لوزارة الاوقاف ، القي فضيلة الشيخ معوض عوض ابراهيم ، رئيس قسم الوعظ بالوزارة ، درسا دينيا بعد صلاة العشاء بمسجد فاطمة بضاحية عبد الله السالم ، تناول فيه مفهوم العلم والعمل والايمان في الاسلام .

قام بتلاوة الايات القرآنية الشاهدة بذلك .

وهنا ركز الشيخ معوض على الحقيقة الدينية الكبرى وهى اقتران العلم بالايمان في كل آيات القرآن التى دعا الله فيها الى الايمان أو تحدث فيها عن المؤمنين ، كقوله تعالى " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، إنا لانضيع آجر من أحسن عملا " (الكهف / ٣٠) وقوله " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا " (مريم/٩٦)

وقوله تعالى " والعصر إن الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " (العصر/ ١- ٥)

وذلك لان الله تعالى لايبالى بايمان من لن يعمل ولايسيغ العقل فضلا عن الدين أن يزكو عمل بدون أن يكون الايمان باعثه ومنطلقة وهاديه .

وتحدث الشيخ معوض عن الاثر الذى يروى عن الحسن البصرى ، رضي الله عنه قال : " ليس الايمان بالتمنى ، ولكن ما وقر في القلب ، وصدقه العمل ، وأن أتوا ما غرتهم أمانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولاحسنة لهم وقالوا نحن نحسن الظن بالله ، وكذبوا لو أحسنوا الظن لاحسنوا العمل " .

<u>أجهزة الاعلام ....</u>

ومن ناحية آخرى ذكر الشيخ معوض في محاضرته آن كلاما كثيرا يثور في أجهزة الاعلام عن الايمان على نحو يؤخذ منه ويترك لانه غير

دقيق ولامستوعب ولانهم يقفون من فهم الايمان عند مجرد الاعتقاد والاذعان والتصديق ، وهو قدر لو سلم وصح لدعا الى ما وراءه من ضرورة عمل القلب وعمل الجوارح صلاة ، وصياما ، وزكاة ، وحجا ، وجهادا ، وامرا بمعروف ، ونهيا عن منكر ، ومؤازرة للحق ، وحدا دون أنتشار الباطل .

من سرق ومن زني ....

وقال أن الاسلام ينبغى الا يؤخذ بظاهر الامور ، وتساءل : هل فهم الاسلام أى شخص أخذ بظاهر الحديث الصحيح الذى رواه أبو ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قال لا اله الا الله محمد رسول الله ، ومات عليها دخل الجنة ...."

فقال له ابو ذر . وان زنى وان سرق يارسول الله ؟

فقال صلى الله عليه وسلم :وان زنى وإن سرق ...

وعاد يسأل ، وعاد الرسول يجيب ، حتى قال الرسول : على رغم أنف أبى ذر " .

وقال أن أخذ الحديث على ظاهره كما يحلو لبعض الكتاب ، ويعارض القرآن والسنة فهما بموجبات العمل بكل ألوانه وضروبه وميادينه في عمارة هذا الكوكب ، ومسابقة الاخرين في ميادين الانشاء والتعمير والتنمية ، والحرص على ذلك عن التسامى عن سفاف الامور والترفع عن الدنايا ، والترفع عن النقائض ، فالزانى والسارق ، وقس عليهما أصحاب الكبائر في الاسلام أمرهما جلي في دين الله ويقول جل تعالى " أن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن

يشـــاء " (النســـاء / ٤٨)

مشيئـــة الله ..

وفي أختتام محاضرته قال الشيخ معوض : وليس لاحد أن يقتحـــم على الله مشيئته ، ولأحد أن يجترىء على الله فيبرر زنى الزانـــي وسرقة السارق ، وسكر السكران ، وقتل القاتل ، والانحلال والابتـــذال بشتى صورهـا وألوانهـا في بعض المجتمعات .

كما تحدث عن عباد الرحمن في خواتيم سورة الفرقان، والايـــات الباهرة ، في بيان ملامحهم ، وعباد الرحمن الذين يمشون علـــي الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، حتى قال تعالـــى: " والذين لايدعون مع الله آلها آخر ، ولا يقتلون النفس التى حـــرم الله الا بالحق ، ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما "

(الفرقـــان/ ٦٨)

وقال ان الحديث ضروري عن الايمان والعلم ، والعلم الذى باهـــي الله بأهله ، وعن العمل الذي هو ثمرة الايمان ، ودرجة المؤمـــن الذي يتراءاه الناس ويعرفونه به من صلى ، ومن صام ، ومن جاهـــد ومـن أنفـــق .

علو الهمة في حياة المسلم

كانت حياة المسلمين حول نبيهم صلوات الله عليه وبعد أن آثر الرفيق الاعلى ، مثالا فريدا لعلو الهمة وشرف القصد ، كما أرادهم الله ، وتعهدهم رسوله ، منذ قال صلوات الله عليه :

" تخلقوا بأخلاق الله "

ولقد سمع النبى صلى الله عليه وسلم أحد صحابته ينشد :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا

وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فأعجب رسول الله ما قال صاحبه ، وسأله : فأين المظهر ؟ قال الجنة يارسول الله ، فقال صلى الله عليه وسلم :

الجنة ان شاء الله . (١)

والجنة عطاء كبير لاينال بغير البذل والفداء ، اللذين يسخو فيهما المؤمنون بكرائم الاموال وغوالى الانفس ،حين يتعينان ثمنا لبقاء العقيدة ، وأمن الوطن ، وسلامة المقدسات ونماء الحرية وصيانة العرض والشرف ،وهى أنفس مايحرص عليه الكرام في هذه الحياة لانها وجه الحياة المشرق ، وهى حقيقتها التى لاتكون الحياة بدونها شيئا يؤبه به ،وعنها قبل سواها يسأل الله عباده ويحاسبهم يوم لاملك الا ملكه ، ولاسلطان الا سلطانه قال تعالى : " يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار .

(١) وهو الذي علمنا اذا سألنا الله أن نسأله الفردوس الاعلى

اليوم تجرى بكل نفس بما كسبت لاظلم اليوم ان الله سريع الحساب"

أجل .. ان المؤمن يضع في اعتباره الاول ان تسلم له عقيدته ويكمل دينه ، ويصح عرفه ، ويأمن حماه ، وتطمئن نفسه علي حرماته ومقدساته ، ومقدسات استحفظها الاسلام أهله في قوله تعالي " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا " .... (الحج / ٤٠)

يرعي المؤمن ذلك كله حق رعايته ، ويخاصم فيه من أنكر عليه منها قيد ، ولايساوم في أيسر حظوظها ، وفيه نفس يتردد وقلب ينبض ، وعين تطرف ، ويد تستطيع أن تدفع في صدر عدوها ، ويرتفع حقها في الايثار والاقتداء علي الاباء والابناء ، قال تعالي :

" ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر علي الايمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل ان اباؤكم وأبناؤكم وأزواجكم وعشرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتي يأتي الله بأمره والله لايهدى القوم الفاسقين . (التوبة / ٢٤)

وقال الامام الزمخشري في تفسيره : " هذه آية شديدة لاترى اشد منها ، كأنها تنعي علي الناس ماهم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب جمل اليقين ، فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد من التغلب في ذات الله والثبات علي دين الله مايستحب له دينه علي الابناء والاخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع

حظـوظ الدنيـا ، ويتجـرد منها لاجلـه ؟

أم يزوى الله عنه أحقر شئ منها لمصلحته ، فلا يـدرى أى طرفيه أطول ؟ ويغويه الشيطان من أجل حظ من حظوظ الديـن فلا يبالى ، كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره ؟

ويوم أصر الجراح أبو الصحابى الجليل أبى عبيدة عامر بـن الجراح ، أن يباهى وهو في صفوف المشركين بآلهة قريش ، ويرفـع بذكرها صوته ، وحرص على أن يقتل أبنه الذى سبق الى الاسلام وكـان أبو عبيدة رضوان الله عليه ينحرف عن ضربات أبيه فتطيش ، جاشـت بعامر عقيدته ، وربما ايمانه ، ورجع على ما يأمر الايمان من بـر للوالدين واحسان ، فاخترط بضربة مؤمنه رأس أبيه فأرداه قتيـلا وساقه بشركه الى النار ، وأثنى الله بذلك عليه ، فقال " لاتجـد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله ولـو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فـي قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتهـا الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب اللـه الا أن حزب الله هم المفلحـون " . (المجادلـة / ٢٢)

ولقد قال أحد أبناء أبى بكر : له " لقد أهدفت لى في بدر فلم أقتلك ، فقال : أبو بكر والله لو أهدفت لى يومئذ لقتلتك فـي اللـه " .

وابو بكر رضوان الله عليه الذى وكز أباه في صدره عندما سب أبو قحافة النبى صلوات الله عليه ، وقال له رسول الله :

يا أبا بكر ان عاد أبوك الى سبى فلا تؤذه فقال رضوان الله عليه " والله يارسول الله لو كان سيفي الى جانبى لقتلته "

قال الاستاذ محمد اسعاف النشاشيبى في كتابه " الاسلام الصحيح" جـ ١ ص ٤٧ :

" إن صاحب العقيدة لايلوى في الدنيا الا على عقيدته ، ولايعرج الا عليها ، ولايحفل الا بها ، عدوه من ناوأها ، وان كان أقرب الاقربين ، وصفيه منتحلها ، وان كان أجنبيا من أجنبيين ".

وفي كامل أبى العباس المبرد : " قال معاوية بن أبى سفيان لابى حوشرة : أكفنى امر أبنك ، فصار اليه ابوه ، فدعاه الى الرجوع فأبى ، فأداره فصمم ، فقال : يابنى أجيئك بابنك ، فلعلك تحن اليه .

فقال يا أبت إني الى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق منى الى أبنى " فرجع ابو حوشرة الى معاوية فأخبره فقال يا أبا حوشرة : عتا هذا جدا ... وماهو ... وأيم الله ... بالعتو ولكنها العقيدة والوفاء لعلى رضى الله عنه ، يرجح بها الميزان أمام عاطفتى الابوة والبنوة معا في هذا المثال ، وما أكثر أمثاله في سير الرجال ......

وفي تاريخ الذهبى : أن صلة بن أشيم قال لابنه في احدى المغازى : تقدم فقاتل حتى احتسبك ... فلما استجاب الابن لوصاة أبيه ، ركض صلة الى الحومة فقاتل قتال الابطال حتى لحق بابنه .

" مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين وحسن أولئك رفيقـــا " .

... وأبتدرت النسوة يعزين الام والزوج معاذة العدوية فأرتهن مـــن علو همتها نسقا يرتفع بها الي صف نسيبة بنت كعب الانصارية أم حبيب وعبد الله يوم أحد ويوم اليمامة ، وأسماء بنت أبي بكر وهي تحـرض ابنها علي مواصلة القتال حتي يموت علي مامات عليه أصحابه غير ملق بالا لما يحتسب من صنيع عدوه بجثته بعد موته ، وقالت لابنهـــا عبد الله بن الزبير : " ان الشاة لايضرها سلخها بعد ذبحها " .

... وكأني بصوت معاذ... مازال يدوى ويتخطي القرون وهي تخطـب بمعاذة العدوية وهي تخطب المعزيات فتقول : " ان كنتن قد جئتـــن لتهنئتي فمرحبا بكن ، وان كنتن قد جئتن لتعزيني فارجعن ولاكرامة " كأني بها ترى من وراء سدف الغيب نساء يشق عليهن أن ينخرط في سلك الجندية ابن أو زوج أو قريب ، فتؤكد لهن الي آخر الزمـــان ان العقيدة لاتصان بالاماني وأن صرح الوطن لايعلو ، ولاترسخ جـــذور المبادىء الا بالتضحية والعطاء ، بعيدا عن الدعاوى العريضـــة والشعارات المريضة ، والكلام الصارخ الذى ينقض به أقوام عهد اللـه من بعد ميثاقة ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض .

ويسيطر علي المؤمن - حتي في اللحظات التي تعطي نفسه فيهـا بعض ما أحل الله له من لبنات وشهوات - شعور الوفاء لله ، والبـر لدينه والاستجابة لدواعي الجهاد ، فيدع زوجه أدني ماكان منهـــا وألصق شيء به ، كما فعل " غسيل الملائكة " بن أبي عامر الانصـارى رضي الله عنه ، يوم أحد ، حين أعجله الخروج عن اتمام الغسل بعـد المامه بأهله ، فلما استعلي أبو سفيان - وهو زعيم المشركيـــن

يومئذ وكاد حنظلة يقتله ، نهد اليه شداد ابن الاسود فقتل حنظلـــه رضى الله عنه .

قال ابن هشام في السيرة " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبكم - يعنى حنظلة - لتغسله الملائكة ، فاسألوا أهلــــه ماشأنه ؟ فسئلت صاحبته عنه ، فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهيعة " الصيحـــة " .

قال ابن اسحق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلــك غسلته الملائكة " وفي رواية الاستيعاب : قال الرسول لامرأتــه : " ماكان شأنه ؟ فانى أرى الملائكة تغسله ؟ قالت: كان جنبا ، وغسلت أحد شقى رأسه ، فلما سمع الهيعة - الصيحة - خرج " .

ان في أكتمال عقيدة المسلم كمال انسانيته وتمام مروءتـــه يرى عرضه وشرفه - كما قال الشاعـــر -

يهـــون علينا أن تصاب جسومنـــــا
وتسلم أعراضـنـــا وعقـــــــول

فجراحات الابدان يجد الانسان لها الدواء بعد الدواء ، ويـــدرك منها العافية والشفاء ، وقد يمتحن في بعض أطرافها ويمارس بعـــد ذلك أعمال الحياة ، وكأن لم يكن شئ ، على حين تستعصى سلامــــة العرض اذا ثلم ، ويصعب احراز الشرف حين يتبدد ويهون ، وموت المرء بانقضاء حياته انطلاقة بالاخيار الى ما ينعمون به في جوار اللــــه وهو طى لصحائف كان الاشرار يمدونها كل لحظة بجديد مــــن واردات أهوائهم وغفلاتهم .

لكن وراء هذا الموت الذى هو رحمة بمن احسنوا ومن اساءوا موتا آخر يملأ شياب الذين يدبون على الارض ، ويخطرون في مناكبهـــا ، ويذكرون في الاحياء ، من أولئك الذين عناهم من قال :

ليس من مات فاستــــراح بميــــت

انما الميــت ميــت الاحيـــــاء

ومن قــــال :

ان المــرء ميتـــا بانقضـــاء حياتـــــه

ولكن بأن يبغى عليه فيخـــذلا

وما أكثر ما راودت الحياة مؤمنا بعد مؤمن عن نفسه ، وقالـــت هيت لك فطرحوا ذلك كله وراء الظهور ، وجعلوه دبر الاذان مؤثريـــن ما عند الله لاوليائه على زخرف تنقضى لذاته وحطام ينتهى عما قليـــل رونقه وتبقى حسراته ، وهو ضرب من علو الهمة رفيع منيع لايخلـــص اليه سحر المال ، ولا أسر الشراء ولاسلطان لها على الذين يؤمنـــون بمراد الله تعالى من قوله : " ماعندكم ينفد وما عند الله باق ".

وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربكم يتوكلون ".

" وما عنــد الله خيـــر للابـرار " .

حدث الطبرى في تاريخه ج٤ ص١٦ فقال " لما هبط المسلمون المدائن وجمعوا الاقباض أقبل رجل بحق معه فدفعه الى صاحب الاقباض ، فقـــال والذيـــن معه : ما رأينا مثل هذا قط ، ما يعدله ماعندنا أويقاربه فقالـــوا : هل أخذت منه شيئا ؟

فقال : أما والله لولا الله ماأتيتكم به ، فعرفوا أن للرجل شأنـــا

فقالوا : من أنت ؟ فقال : لاوالله لاأخبركم لتحمدوني ولاغيركم ليقرظوني ، ولكني أحمد الله وأرضى بثوابه .. وأتبعوه رجلا حتي أنتهى الي أصحابه ، فسألوه عنه ، فاذا هو عامربن عبد قيس .

وماذا يكون كل مافي الدنيا من حوافز وجوائز ومكافآت اذا وزنت بجائزة الرضا عن النفس التي انتصرت على المغريات ، وأبت أن تلين لمغامز المادة وان زكا معدنها وجاوز أرقام الحاسبين مقدارها .

ولقد خطب شداد بن عمرو بن أوس في حضرة معاوية فقال :

" ان الله عز وجل اذا أراد بالناس صلاحا ولى عليهم صلحاءهم ،وقضي بينهم فقهاءهم ، وجعل المال في سمحائهم ،وذا أراد بالعباد شرا ولى عليهم سفهاءهم ، وقضى بينهم جهلاؤهم وجعل المال في بخلائهم وان من صلاح الولاة أن يصلح قرناؤهم ... نصحك يامعاوية من أسخطك بالحق ، وغشك من أرضاك بالباطل " .

فقال له معاوية : أجلس ، وأمر له بمال ، وقال :

ألست من السمحاء ؟ فقال : ان كان مالك دون مال المسلمين تعمدت جمعه مخافة تبعته ، فاصبته حلالا ، وأنفقته فضلا - احسانا - فنعم. وان كان مما شاركك فيه المسلمون فاحتجنته دونهم .. .

احتويته واستأثرت به - أصبته أقترافا وأنفقته اسرافا ، فان الله عز وجل يقول " ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا "

(الاسراء / ٢٧)

ان الغنى غنى النفس كما قال رسول الله صلوات الله عليـــــه

ولله در العربى الابى العيوف الذى قال :

ان الغنى هو الغنـــــــى بنفســـــه

ولو أنه عـــــارى المناكب حافـــــي

ما كل مافـــوق البسيطة كافيـــــا فاذا أقتنعت فبعض شيء كافي

.. ولقد عاش القاضى الجرجانـــــي

أبو الحسن على بن عبد العزيز في زمن لايفتح سبيل المناصب الا لمـــن

يمتهنون كراماتهم ويتحاملون على ضمائرهم ، ومن شعره :

وقالــوا : توصل بالخضوع الى الغنـــــى

وماعلموا أن الخضوع هو الفقـــــــر

وبينى وبين المال بابان حرمـــــــــا

على الغنى ، نفسى الابية والدهـــــر

وقصيدته " يقولون لى فيك أنقباض جليلة في تقرير ذلك الغنـى

والاسلام في إعلائه لقدر القناعة حيث يقول رسول الله صلـــوات

الله عليه " خير الغنى القناعة " ويقول " ومن كانت الاخرة همــــه

جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه شمله وأتته الدنيا وهى راغمـــة "

يرفع قاعدته المثلى وهو يؤثر مقالة الذين أوتوا العلم من قـــوم

قارون حين أرادوا أن يوقظوه من سكر ملكه ، وغرور ثرائه ،وأن يثنوه

عن بطشه واستعلائه فيما حكى الله من قولهم :

" وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولاتنس نصيبك من الدنيـا

وأحسن كما أحسن الله اليك ولاتبغ الفساد في الارض إن الله لايحب المفسدين " .
(القصص/ ٧٧)

" فالمؤمن بعد أن ينيل نفسه الجهد يقنع بما تيسر ، ويرضى بما كان ، ويرى أن من سقوط الهمة أن يحمد امرؤ في مكانه ، ويضن بامكانه ، ويتمنى على الله الاماني ، بينما يتقاسم الناس بوسائلهم المشروعة أنعمَ الله وخيره الكثير ، ولايحسدون أحدا على ماآتاه من فضله ، وانما يغبطهم الرخاء الذى يسع سواهم ،ويروحون واياهم شاكرين الله على ماأعطى ، مستزيدين من خزائنه التي تفيض ولاتغيض أبدا ، متوسلين الى ذلك بكل ماشرع الله من وسائل وأسباب ، مستعينين بالصبر والصلاة وضروب طاعة الله الذى لاينال ماعنده الا بطاعته ، عارفين دور الوقت وقيمته وضرورته في بلوغ مانرجو، وتحصيل مانؤمل ....

الاسلام دين العلـــــم

الاسلام دين العلم ، وطلب العلم فريضة ، كما قال معلم النـــاس الخير ، سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم .

بالعلم نعبد الله ونعرف أوامره ونواهيه ،فهو منهجه الضروري لصلاح امر الدنيا والاخرة ، كما نجد ذلك في القرآن الكريم ، وفـــي سنـــة النبي صلي الله عليه وسلم .

وقدنوه الله بالعلم ، وباهي بالعلماء ، ورفع قدرهم علي غيرهـــم ممن اشتركوا معهم في العقيدة ، فسبقوا الي العلم تحصيلا لــــه وعملا به ، واداء للاخرين الذين لايكمل ايماننا حتي نحب لهم مـــن الخير مانحب لانفسنا ، وأى خير وراء الايمان بالله ، والعلم الــذى يقول فيه سبحانه وفي أهلــــه .

قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمــون

(الزمـــــــر / ٩)

وقوله جل وعـــلا :

" يرفع الله الذين امنوا منكم والذين أتوا العلم درجـــات"

(المجادلـــــــة/ ١١)

وابو الدرداء (رضي الله عنه) يقول :

سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول : " ما سلك عبد طريقـــا يلتمس فيه علما الا سلك الله به طريقا الي الجنة ، وان الملائكـــة

لتفع اجنحها لطالب العلم رضا عنه ، أورضا بما يصنع ، وانـــــــه ليستغفر للعالم من في السموات وفي الارض حتي الحيتان في جـــــوف البحــــــر " .

ان طلب العلم في الاسلام لايعني من هم في مراحل التعليـــــــم المعروفة وحدهم ، ولكن المسلم يطلب العلم من المهد الي اللحــــد ولاينبغي ان يقعده كبر السن عنه ، ولايزيده تقدم العمر الا حرصـــا علي التزود منه ، فكما ان العلم لامنتهي له ، فانه ليس له عمـــر يتوقف عنده عن طلب العلم والمنافسة فيه ، ومزاحمة الاخرين علــــي موارده ومعاهده وميادينه .

والامام ابن القيم الجوزية يروى في كتابه " روضه المحبيــــن عن شواهير العلماء الذين حرصوا علي اكتساب العلم وهم مرضــــي وحاوروا في ذلك الاطباء الذين لم يلبثوا ان اقتنعوا بوجهة نظـــر هؤلاء الاعلام في اشتغالهم بالعلم برغم مرضهم .

ذكر أن بعضهم كان يحرص علي دراسة قضية من قضايا الفقه وهـو في السكرات ، ولم تمنعه حالته هذه عن المسألة قائلا :

" اليس من الخير أن ألقي الله وأنا عارف بها ؟ ...

وقد روى الثقاة ان (معاذ بن جبل) رضي الله عنه قال :

" تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ، وطلبه عبادة ومدراستـــــة تسبيح ، والبحث عنه جهـــاد ، وتعليمه لمن لايعلم صدقة وبذلــــه لاهله قربة " لانه معالم الحلال والحرام ، والانيـــــــس فــــــي

الوحشة وفي الخلوة ، والدليل علي السراء والضراء ، والزين عند الاخلاء ، والقرب عند الغرباء ، يرفع الله ،اقواما فيجعلهم في الخلق قادة يقتدى بهم وائمة في الحياة هداه نقتفي آثارهم ونهتدى الي رأيهم ، وترغب الملائكة في حبهم ، باجنحتهم تمسهم ، حتي كل رطبة ويابس لهم تستغفر ، حتي حيتان البحر وهوامه ، وسباع البر واذمامه والسماء ونجومها ، لان العلم حياة القلوب من العمي ، ونور الابصار من الظلم ، وقوة الابدان من الضعف ، يبلغ به العبد منازل الاحرار ومجالسه الملوك ، و الدرجات العلي في الدنيا والاخرة والفكر فيه يعدل الصيام ، ومدراسته بالقيام ، به يطاع الله عز وجل وبه يعبد الله عز وجل ، وبه توصل الارحام وبه يعرف الحلال من الحرام ، انه امام والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ....
ويحرمه الاشقياء ان العلم الذى تصح به العقيدة ، وتقبل العبادة ويحسن السلوك علي سبيل عز الافراد والجماعات وهو أساس الملك وزمام الحكم ، وقاعدة الامن والاستقرار ، حين يعرف الواجب فتؤديه والحق فتطلبه بالحكمة والقصد ودواعي التواصل وأنت تحرس المال، والعلم يحرسك ، والمال يذهب بالنفقه والعلم يزكوبها ويزيد ويتجرد من الشوائب .

وبالعلم يجل الصغير ، ويرتفع قدر الخفي المغمور بين الناس وكم كان عبد الله بن عباس بعلمه ورغم صغر سنه أثيرا كبيرا عند الصحابة - رضوان الله عليهم .

وكان عمر بن عبد العزيز يتلقي تهنئة وفد الحجاز له بالامارة فلما رأى المتكلم عنهم أحد فتيانهم ، قال عمر : ليتكلم من هو أسن منك ، وجاء جواب الفتي قال :

يا أمير المؤمنين لو كان الامر بالسن لكان في المسلمين من هو أولي منك بامارتهم ، وكلمه بكلام طيب ، استحق به توقير الخليفة وأنشد :

تعلم ، فليس المرء يولد عالما * وليس اخو علم كمن هو جاهل
وان كبير القوم لاعلم عنده * صغير ، اذا التفت عليه المحافل

وتعليم الكبار انصاف لهم ، واحسان اليهم ، بعد ان فاتتهم فرص التعليم في سابق أيامهم ، وحالت ظروف لادخل لهم بها دون طلب العلم .

والمسئولون حين يتداركون أمر الكبار ، ويتيحون لهم الوسائل التي تعينهم علي تعويض مافاتهم من علم ومعرفة ، يؤدون حق المسئولية ويستوحون شكر الناس ، ويجدون اجر الله وحفظه ورعايته تعالي لهم وفاء لاوفياء ، واحسانا لرعاة وولاة ساسوا شعوبهم وأممهم بصلاح واصلاح ، وكلكم راع وكلكم مسئوول عن رعيته .

والكبار ينبغي ان يشمروا عن سواعدهم ، ويواصلوا الجد والاجتهاد في الانتفاع بفرصة التعليم التي اتيحت لهم ، فبذلك يزدادون علما بالله وبرسله وبالرسول ورسالته ، وبالحياة التي يرفع العلم قواعدها ، ويضيء الطريق الي العيش الرغيد والمصير

الطيب عند الله يوم يقوم الناس لـــرب العالميـــن .

وماقصر كبير في طلب العلم وانتهاز فرصته الا استوجب الـــذل وأحرز التخلف ،ورأى غيره يسبقونه الى الكمالات والغافلون فـــي مكانهم لا يتحركون ،والله المسئول ان ينفعنا وان يزيدنا من لدنـــه علما والحمد لله رب العالميــــــن .

العلاج في فعل الخيـــــر

لم تعرف البشرية - فيما اعلم انسانا عمر ماعمر نوح عليـــه السلام ، فقد بعث في قومه الف سنه الاخمسين عاما يدعو قومه الـــي الله تعالي ، ويذكرهم بحقه سبحانه في التوحيد والعبادة واتبـــاع أوامره واجتناب مناهيه ، ثم أدركه اليقين ، ووافته المنية التـــي هي نهاية كل حـــي .

قال الله تعالي لمصطفاه صلي الله عليه وسلم : " وماجعلنـــا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة المـــوت ونبلوكم بالبشر والخير فتنة والينا ترجعـــون " .

(الانبيـــاء/ ٣٤/ ٣٥)

ولقد قرأ بعضهم قول الله تعالي : " وعادا وثمود وأصحاب الـــرس وقرونا بين ذلك كثيرا " . (الفرقـــان / ٣٨)

ثم قال : لقد كان فيهم الطبيب والمريض فلم نر المريض عوفـــي ، ولا الطبيب مـــرض .

فحياة نوح عليه السلام علي طولها تصنع نسيجها الساعـــات وهي أن تراخت واستطالت ليست الا ماضيا وحاضرا واتيا .

ثلاثة أيام هي الدهـــر كلــــه

وماهي الا الامس واليـــــوم والغـــد

ولقد مضي الامس ولاسبيل الي أمـــس الذى مـــر علي قربـــــه رده

فقد قيـــــل :-

يعجز أهل الارض عن رده الماثل الحاضر هو اليوم الذى نحـن فيه ، ولقد أنقضى صبحه ، وانتهى ضحاه وتوسطنه . وعما قليـل تغيب شمسه . وتطوى صحيفته ويصير ذكرى وأحاديث وخبرا من الاخبـار ومن طال عمره ، واجه غده ، وواصل حياته الى أجل معلوم ، وكم من أناس اصبحوا ولم يضحوا ، ومنهم من اصبح وأضحى ، ثم ختمـت الظهيرة أو المساء عمـــره .

وقد أخرج الامام البخارى حديث ابن عمر رضى الله عنهما قـال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبى وقال " كن في الدنيـا كأنك غريب أو عابر سبيل " ، وكان عبد الله بن عمر يقول :
" اذا اصبحت فلاتنتظر المساء ، واذا امسيت فلاتنتظر الصبـاح وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتـك ".

وما أحسن مافهم ابن عمر من كلام الرسول صلى الله عليه وسلـم ووص به ونصح أن نغتنم لحظات الحياة ، وان نهتم بها أهتمامنـا باعز رصيد ، وأنفس مدخر ، فالارصدة والمدخرات من ثمرات الايـام والليالى وقد أبصر الذى قال :-
اذا كان رأس المال عمرك فاحترس عليه من الانفاق في غير واجـب وكم تبددت ثروات ثم أعان الله فتجددت ، لكن ساعات العمر وايـام الحياة مامضى منها لايعود ، وفي الاثر الذى يرويه ابن عبد البر بسنده عن الحسن رضى الله عنه " ما من يوم جديد الا وينـادى:
ياأبن أدم أنا يوم جديد وعلى عملك شهيد فأغتنمنى فلو غابـت

شمسي لم تدركني الي يوم الوعيد " ذلك هو نداء كل يوم وايجاؤه فهل سمعنا النداء ؟ وعقلنا الدعاء ؟

" يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ، ولاتكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم آولئك هم الفاسقون ، لايستوى اصحاب النار واصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون " .

(الحشر ١٨/ ٢٠)

ولقد كان من أول ماخطب به النبي صلي الله عليه وسلم المسلمين في المدينة بعد الهجرة " ان العبد بين مخافتين بين أجل قد مضي لايدرى ما الله صانع به ، وبين أجل قد بقي لايدرى ماالله قاضي فيه ، فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن حياته لموته ، ومن الشبيبه قبل الكبر ... فوالذى نفسي بيده مابعد الموت من مستعتب ومابعد الدنيا من دار الا الجنة والنار " .

إن الحياة فرصة ان لم تنتهز بالصالحات ذهبت ولاكرامة كما يذوب الثلج قطرات ماء ، والحياة هي أرض الغراس ، وميدان العمل الذى نصيب منه بعض المني والامل " وما عند الله خير للذين آمنوا وعلي ربهم يتوكلون " (الشورى / ٣٦)

" وماعندكم ينفد وماعند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم باحسن ماكانوا يعملون . (النحل/ ٩٦)

وفي الحديث الصحيح " اليوم عمل ولاحساب ، وغدا حساب ولاعمل فخذوا من دار ممركم لدار مقركم ولاتهتكوا أستاركم عند

من لاتخفى عليه اسراركم ، ان العبد اذا هلك قال الناس : ماملك؟ وقالت الملائكة : ما قدم ؟ قدموا بعضا يكون لكم كلا ، ولا تتركوا كلا يكن عليكم كلا ."

ان الدنيا قنطرة الاخرة ، وقد خلقها الله لنا بنفائسها وكرائمها ، والايمان بالله تعالى ، واتباع مصطفاه صلى الله عليه وسلم سبيل عزة الدنيا وأمن الاخرة .

فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا وأن تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور . (آل عمران١٨٥/١٨٦)

وتقوى الله حب يدعو الى التزام أوامره ، وهو خشية تحفز الى أجتناب زواجره ، والمؤمن التقى يأخذ قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا اركعوا وأسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ، وجاهدوا في الله حق جهاده هو أجتباكم وماجعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة وأعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير " . (٧٨ / الحج)

هذا هو الطريق لولاية الله ورعايته ونصره " وافعلوا الخير لعلكم تفلحون " .

الوفاء للدين بين السلف والخلف

انتهاز كل بادرة للتعرف على الاسلام ،والتضلع من نبعه السلسل والانطلاق بذلك للعمل كما امر الله والتعريف بالاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة الضرورين لاقامة حجة الله وكلماته على عباده كما علم الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى:

" ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن " (النحل/١٢٥)

واذا كان ذلك تعليما للمؤمنين من خلال نبيهم صلى الله عليه وسلم ،فان الله تعالى يقول : " ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هى احسن الا الذين ظلموا منهم " (العنكبوت/ ٤٦)

وهو أدب آلهى متوارث ،فالله تعالى يقول لبنى اسرائيل :

" وقولوا للناس حسنا ، (البقرة/ ٨٣)

وقال لموسى الكليم واخيه هرون عليهما السلام :

" اذهبا الى فرعون انه طغي ،فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى " (طه ٤٢ /٤٤)

والمسلمون مخاطبون بالتخلق بأخلاق الله الذى يقبل التوبة عن عبادة ،ولايعاجلهم بالمؤاخذة ،ويعفو عن كثير ،ولو أخذ بعدله فرعون وقارون ونمروذ لفاتنا درس الحلم والاغضاء الي حين عن المسيء وامهال الظالمين حتى يرعووا ويأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر .

وتاريخ الاسلام حافل بالامثال ،جياش بالشواهد ،ومانيس احد ان قريشا كانت تمعن في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضع في طريقه وعلى باب داره الاقذار ،فلا يزيد الرءوف الرحيم على أن يقول : .. يابني عبد مناف أي جوار هذا .؟

ولما أمكنه الله منهم في فتح مكة كان خير آخذ وابر مقتدر وهو يقول : " اذهبوا فأنتم الطلقاء .

والاسترسال في هذا المجال طيب محبب ،لكني انتحي بناحية أدعو اليها تطاول بعض الادعياء على الدين ،وتناولهم لقضايا الاسلام بغير بينة ولابرهان ،وسكوت كثيرين على هذا الضجيج الطائش استهانة به ، ويقينا من أن الباطل زاهق لا محالة ،وترفعا عن مواجهته ،وكأنه طنين الذباب الذى قال فيه الشاعر :

أوكلما طن الذباب أذووه * ان الذباب أذن على الكريم

وربما كان هذا السكوت قصورا ، يجد اصحابه انفسهم بمكانهم من الاثر الكريم القائل ،" الساكت عن الحق شيطان أخرس ،والمتكلم بالباطل شيطان ناطق ... ونعوذ بالله من الشيطان وقبيله ،ومن شياطين الانس الذين نراهم كما قال عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما :" ان شيطان الانس أشد على من شيطان الجن ،فاني أعوذ بالله من شيطان الجن ،فيعيذني الله منه ،وشيطان الانس يجيئني فيجرني الي المعاصى جرا .

ومايبنغى ان تقصر هم القادرين عن مواجهة كل باطل بأدب الاسلام في انكار المنكر عند اول بادرة ولا ان ندع فرصة متاحة دون ان

تكون فيها السنة صدق للحق ،ووسائل اعلام بالدين العظيم فاننـا ننتهز كل فرصة لدنيانا وادراك.منانا، وتحصيل حاجات الحي التـي خلقها الله لنا بأسبابها الالهية وليس من الانصاف بحال أن لانعطي ديننا مثل هذه الرعاية في أقل القليـل ٠

ولقد كان سلف هذه الامة ينتهزون كل مناسبة لاداء حق الديـن والوفاء للعقيدة نحن بها خير أمة أخرجت للناس ٠

وقد روى الامام ابن كثير بسنده عن الشعبي رضي الله عنـه ان قيصر الروم كتب الي الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقـول :" اخبرك أن رسلي اتتني من قبلك ، فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بمخلفة شيئا من الخير يعني ان منافعها لاتتناهي ٠

ولقد ضربها الرسول صلي الله عليه وسلم مثلا للمؤمنين في حديثـه الذى اخرجه الامام البخارى - رحمه الله - في كتاب العلم، مـن صحيحـه ٠

قال قيصر : تخرج مثل آذان الحمير ، ثم تتشقق مثل اللؤلؤ ثـم الزمرد الاخضر ، ثم تحمر ، فتكون مثل الياقوت الاحمر ، ثم تينـع فتنضج فتكون كأطيب فالوذج أكل ، ثم تيبس فتكون عصمة للمقيـم وزادا للمسافر،فان تكن رسلي صدقتني،فلا أرى هذه الشجرة الامـن شجر الجنـة ٠

وقيصر لم يقرأ القرآن والله تعالي يقـول :

"والارض وضعها للانام ، فيها فاكهة والنخل ذات الاكمـام "

(الرحمـن ١٠/١١)

وكل ثمار الدنيا هي كماصح في الاثار يجدها المؤمنون في الجنة على الحال التي تليق بدار المقامة والكرامة ..

ولقد بادر عمر رضي الله عنه ،فكتب : " من عبد الله عمر امير المؤمنين الى قيصر ملك الروم ..

" ان رسلك قد صدقوك ،هذه الشجرة عندنا وهي الشجرة التي انبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها ،فاتق الله ،ولاتتخذ عيسى الها من دون الله فان : " مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ،ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين "

(آل عمران /٦٠)

ان هذه الحركة الذهنية عن ابي حفص رضي الله عنه فتح من الله عليه وعلى سلفنا الذين حرصوا منه على خير الدين والعقيدة .

ولو أن الخليفة اكتفى بالجملة الاولى من كلماته لاجاد وأفاد لكنه ،رضي الله عنه ،وردت على خاطره هذه الحقائق التي حاول بها ان يصحح تقصير عقيدته ،وعلمه بمريم وعيسى عليهما السلام وأنهما وهما آية آلهية فان اعجب من عيسى ان الله خلق آدم من تراب .

فمتى نأخذ من سلفنا مثل الوفاء للدين ؟

او نتقي الله في أقل القليل في السنتنا وخواطرنا . ؟

الرسالة المهيمنة

ان الذين يتأملون حديث القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدون للنظرة الاولى الحقيقية التى يؤكدها كر الغداة ومر العشى ،وتقوم عليها متغيرات الحياة شواهد وبراهين لايحيط بها حساب .

انها حقيقة عموم الرسالة المحمدية ،وهو عموم يتجاوز حدود من أدى الامانة ،وبلغ الرسالة ،ونصح للامة الذى ارسله الله رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فيضيف الى شمول الرسالة واستيعابها واجابتها على تساؤلات الحياة والاحياء جميعا والى أبد الدنيا ويضيف عنصر امتيازها على كل رسالة سبقت ،وشريعة تقدمت فهى خالدة متجددة تتضاعف الحاجة اليها ولايغنى عنها طرفة عين مابهر الافكار من حضارات ،ولاماخطف النواظر من بهارج وقيم ومدنيات لم تكن تلفت اليها الاذهان .

وتواصل وسائل الاعلام جهدها الذائب في التيشير بها حتى مضت كأمس الدابر ،وصارت خبرا من الاخبار وبقى الاسلام عقيدة وشريعة ومنهاج حياة ،وحديثا عن الفضائل داعيا اليها ،واحصاء للرذائل منفرا فندرا منها ،وذاكرا من أمثال عاد الاولي وثمود وقوم تبع ، وامثال من ا تبعوا المرسلين ،واعتصموا بحبل الله في كل ملة ودين بالقدر الذى عناه قول الله تعالى :

" ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله وأجتنبوا الطاغوت

فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليهم الضلالة فسيروا في الارض. فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين " (النحل / ٣١)

ويتكرر هذا المعنى في القرآن الكريم ،فيتقرر في أذهان المستبصرين ،ونطالع في صدر سورة (ق) حديث الحق تباركت الآؤه عن الذين كذبوا بالحق لما جاءهم في خير ماجاء به نبى قومه في الرسالة العامة الخالدة التى تنادى بالاقناع ،وتستهدف بالحجة والبرهان الى مايجب لها من اركان واتباع ،فتقرأ قول الله تعالى:
" أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ،والارض مددناها والقينا فيها رواس وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ،تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ،ونزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد ،والنخل باسقات لها طلع نضيد، رزقا للعباد ،واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج "

(٦-١١ / ق)

ويواسى الله تعالى مصطفاه عليه الصلاة والسلام في آيات تتلو هذه الايات وامثالها في كثير من كتاب الله فيقول سبحانه :
" كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط ،واصحاب الايكة وقوم تبع كل " كذب الرسل فحق وعيد"

(١٢ - ١٤ /ق)

ولقد كذبوا الرسل وكفروا برسالاتهم وتجرءوا باهوائهم على فطرة الله فيهم فجعلهم الله أحاديث ومزقهم كل ممزق ،وبقى الاسلام يعرض بصدق صنيعهم بالمرسلين ،وبمن آمنوا بهم صلوات الله عليهم

تبصرة وذكرى وهدى وموعظه " ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة " (الانفال /٤٢)

وحديث القرآن عن المرسلين أمارة أخرى على عموم رسالته وهو شاهد ودليل على امانة الرسول صلوات الله عليه ،وهو يبلغ بوفاء وحى الله وما استوعب من احوال رسل الله وتنويه الله بهم تعالي بهم وهو يقول : وابراهيم والذى وفي " (النجم / ٣٧)

وهو يقول " واذاابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن "

ويقول تعالى لمصطفاه صلى الله عليه وسلم " ثم أوحينا اليك أن أتبع ملة ابراهيم حنيفا وماكان من المشركين "(النحل /١٢٢) بعد قول تعالى " ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ،شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الي،صراط مستقيم ، وآتيناه في الدنيا حسنة ،وانه في الاخرة لمن الصالحين "

(النحل -١٢٠/١٢١)

ويقول تعالى : " واتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل الا تتخذوا من دونى وكيلا ،ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا . (الاسراء -٢ /٣)

والقرآن الكريم وهو يذكر التوراه هنا باسم الكتاب ،ويقرر انه كان هدى لبنى اسرائيل ،انما يولى هذه الاشارة شيئا وراء التلميح فيقول سبحانه .

" انا انزلنا التوراه فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب

لله وكانوا عليه شهـــداء . "   (المائـــــدة/٤٤)

ويذكر الله في القرآن والانجيل حين كان على طهره ونقائه ووفائه بكلمات الله ،وقبل أن تتلاعب به الاهواء ،وتناله بمالاينبغى لـــه أيدى الاحبار يقول تعالـــي :-

وقفينا على أثارهم بعيسي بن مريم مصدقا لما بين يديه مـــن التوراه واتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه مـــن التـــوراة ،وهدى وموعظه للمتقين ،وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقـــون " .

(المائـــدة ٤٦/ ٤٧)

ولو شاء الله ان تبقي التوراه ويبقى الانجيل لكانا كالفاتحـــه للرسالة الخاتمة ولبقيا بمكانهما الذى أراده الله مخليان الفرصة للقرآن الذى يقول الله فيـــه .

" وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتـــاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولاتتبع اهواءهم عماجاءك من الحق لكل جعلنا شرعة ومنهاجا حتى قال تعالى :.

" وأن احكم بما انزل الله ولاتتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عـــن بعض ما أنزل الله اليـــــك " .   (المائـــدة/٤٩)

انها الرساله المهيمنه التي لم تبعد مثقال ذرة عن نبل مصدرهـا وصفو عنصرها ،ولطف تناولها واعتبارهاللمرسلين ورسالاتهم صلواتالله عليهم أجمعين ،وتحرى الرسول صلوات اللهعليه لاداء حكم الله تعالـي على مقتضاها ،فكان ألزم شيء لها دون أن ينجرف قيد شعره الى اهـواء الاعداء وتبقي سنة الله الذى يقول :-

" وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلـــــم
وكان فضـــل الله عليك عظيما "

(النســــــــاء / ١١٣)

حسن الخلق بين الفطرة والديـــن

الاخلاق الفاضلة ثمرة الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وقـد تتراءى في أعصار وأمصار ، اثرا للادراك السوى بان الخير يثمر الخير كما يعقب الشر الشر ، وقد يكون حسن الخلق طبيعة وسلوكا يؤثـــره الذى يحب ان يسدى المعروف ،ويتقيد بالاحسان مع من يلاقيه في فرصـة الحياة الواحدة من محسن او مسئ ، وفي الناس من يربأون بأنفسهـم عن مشاكلةممن لايرون انفسهم للاحسان اهلا ، فيكونون هم أهل الاحســان جهـد الامكـان .

وقد أنشد الحطيئة في مجلس امير المؤمنين عمر بن الخطـاب رضى الله عنه قصيدته التي يقول فيها :

من يفعل الخير لايعدم جوازيـــه

لايذهـب العرف بين الله والنـــاس

وكان وهب بن منبه ، في مجلس الخليفة يسمع فقال عندئذ : ياأميـر المـــؤمنين ، والله ان ذلك لفى التوراه .. وكان من علمـاء يهود .. فقال عمر أين ؟ .. فقال : وهب .. يقول الله عز وجل فـي التوراه : " عبدى افعل الخير تجده عندى ، ولايذهب العرف بينى وبين عبدى " أجل وكتاب الله صادع الى يوم القيامة بقولهتعالى :

" ان الله لايضيع أجر من أحسن عمـلا " ..

وفي الاثر" اصنع الخير مع اهله ومع غير أهله ، فان وجـدت اهله وجدت أهله ، وأن لم تجد أهله كنت أنت أهله " .

وقد روى الامام القرطبى عند تفسيره لقول الله تعالى :

" ان اكرمكم عند الله اتقاكم " (الحجرات/ ١٣)

بسنده عن سالم بن ابى الحق قال :

" تزوج رجل من الانصار امرأة فطعن عليها في حسبها ، فقال الرجل : أنى لم أتزوجها لحسبها ، انما تزوجتها لدينها وخلقها".

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : " ما يضرك الا تكون من آل حاجب بن زرارة " ثم قال صلى الله عليه وسلم :

" ان الله تبارك وتعالى جاء بالاسلام ، فرفع به الخسيسة ،واتم به الناقصة ، واذهب به اللوم ، فلا لوم على مسلم ، انما اللوم لوم الجاهلية "

ولقد علّم النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه مكارم الاخلاق في افعاله وأقواله معا ، وكانت عينه تتفرسهم لاطلبا لعثراتهم،ولاحرصا على أظهار ماخفى منهم ولكن ان يكونوا بدينهم وفضائلهم النفسية كالشامة في الناس.

عن جابر رضى الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجأة فقال : أصرف بصرك "

" اخرجه مسلم وابو داود والترمذى وهو في ص٥٣ من تيسير الوصول " .

ان رسول الله يأمر في ذلك الامر في نظر الفجأة فياويح الذين يرصدون كل غاد ورائح ، ويؤذون بأبصارهم الزائغة كل مقبل ومدبر جاهلين ماتعقبه النظرات من حسرات .. ورحم الله ابن قيم الجوزية فهو يقول : إن النظرة تتبعها الخطرة ، والخطرة تتبعها الفكرة،

والفكرة تتبعها الخطيئـــــة " والامر في فلتات اللسان مما ينبغي أان يعلم الانسان ،فالمرء مخبوء تحت لسانـــه " ٠ ٠٠ وكم حذر الرسول المسلمين من عثرات اللسان عند ضعف الايمان وغيبة الديـــن ٠٠٠٠٠٠٠
اخرج ابو دواد بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : " اعتل بعيــــر لصفية بنت حيى بن أخطب ،وعند زينب فضل ظهر " فقال رسول الله صلـــي الله عليه وسلم : أعطيها بعيرا ،فقالت : انا اعطي تلك اليهوديـــــة فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ،فهجرها ذا الحجة والمحـــرم وبعض صفـــــر " (تيسيــــر الوصول جــــ ٣ ص ٣٤)

ان الرسول يغضب لهذه الهنة ،وليعلم امته ان يلقوا الله فـــــي الاخرة على ســــرر متقابليـــــن ٠

وهذا رجـــل اسمه النعمان ،كان يعمل واليا لعمر في احــــــدي الولايـــات ،قال شعرا فيه تهتك وانحلال ٠٠٠ منه :

فان تسقنـــي خمرا ،فالاكبر اسقنــــــي
ولاتسقني بالاصغـــــــر المتسنـــــــم
لعل امير المؤمنيــــــن يســــــوؤه
تنادمنا بالجوســـق المتهــــــــــدم

فغضب عمر رضى الله عنه فجاء يعتذر لامير المؤمنيـــــن ويقســــم له انه لم يعمـــل مما بلغـه شيئـــا ،ولكنه رجل شاعـر وجد بعـــض القـــول فقـــاله ٠٠

فقـــال عمر : والله لاتعمل لى عمـــــلا ماحييـــــــــت ٠

فضيلة الوفاء بالوعـــــــد

ان الله تعالي لايخلف وعدا ، وهوالذى أدب المؤمنين فقال:
" وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولاتنقضوا الايمان بعد توكيدهـــم وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ، ان الله يعلم ماتفعلون "
(النحـــــــل / ٩١)

وفي الاية من ايمان الوفاء بالوعد ، والاهتمام به الي مـــــــدى مايقسم عليه ، ويجعل الله سبحانه كفيلا به لمن وعدهم .
وفيها من التهديد والوعيد مايشعر به ختام الاية ان الله يعلم ماتفعلـــــــون " .

وبعض ذلك ناهض ببيان قدر الوفاء بالوعد ، وسوء خلفه علـــي من أخلف ، وعلي الذين يتطلعون الي انجاز ماوعدهم به المخلفون. لكن الله تعالي يولي ذلك الامر اهتماما ، ويلزمنا به الزامـــــا وهو يقول لهؤلاء ميتدا بالنهي في آية يحللها بما لايشـــــــرف الناكثين من صفات وكشف ما يبيتون من عزائم ونيات ، ومايتطلقون اليه بدوافعهم من مقاصد وغايات وتوكيد ان ذلك بلاء في الدنيـــا وشقاء في الاخرة ، قال تعالي :
" ولاتكونوا كالتي نقضت من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكـــــم دخلا بينكم ان تكون امة هي أولي من أمة انما يبلوكم الله بــــه وليبين لكم يوم القيامة ماكنتم فيه تختلفون"(النحـــــل/ ٩٢)

ويالهوان من يضرب الله له بأمرأة خرقاء مثلا كان ذلك معروفا في الجاهلية من حال امرأة كانت بمكة كلما غزلت شيئا نقضته واعادته خيوطا مهلهلة بعد أن كان نسجا محكما .

قال قتادة ومجاهد وابن زيد : " هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده .

قال الامام ابن كثير : وهذا القول ارجح وأظهر وسواء كان بمكة أمرأة تنقض غزلتها ام لا .... أ. هـ .

والنبي صلي الله عليه وسلم يجعل من صفات المنافق انه اذا وعد أخلف .

وفي حديث آخر "واذا عاهد غدر،واذا خاصم فجر" وقد اخرج الامام أحمد بسنده عن حذيفة رضي الله عنه قال :

سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم " من شرط لاخيه شرطا لايريد ان يفي له به فهو كالمدلي جاره الي مالا ينفعه .

والامام القرطبي رحمه الله ، يورد في قول الله تعالي :

" ياايها الذين آمنوا لم تقولون ماتفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالاتفعلون " (الصف ٢/٣)

يورد اسبابا لنزول الاية من أظهرها عندى ماروى ابن عباس رضي الله عنهما ان عبد الله بن رواحة قال : لو علمنا احب الاعمال الي الله لعملناه ، فلما نزل الجهاد كرهوه ، فنزل قوله تعالي :

" ياايها الذين آمنوا هل ادلكم علي تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله " .

(١٠/ ١١/ الصف)

ويقرر الامام القرطبي ان من الزم نفسه عملا فيه طاعة ان يفي به .
قال : وفي صحيح مسلم كما ذكر محقق طبعة احياء التراث العربي
الاسناد (البردوني) .
بعث ابو موسى الى قراء اهل البصرة ،فدخل عليه ثلاثمائة رجل وقد
قرءوا القرآن .
حتى قال : " وكنا نقرأ سورة كنا نشبهها باحدى المسبحات "
فأنسيتها ،غير انى حفظت منها ،" يا أيها الذين امنوا لم تقولون
مالاتفعلون " .
فتكتب شهادة في اعناقكم ،وتسألون عنها يوم القيامة " .
قال ابن العربى : " وهذا كله ثابت في الدين ،اما قوله تعالى:
" يأيها الذين امنوا لم تقولون مالا تفعلون ،فكانت في الدين
لفظا ومعنى في سورة الصف ،واما قوله : " شهادة في اعناقكم ....
في اعناقكم .. الخ فمعنى ثابت في الدين .
قال ابن العربى ,فان من الزم نفسه شيئا لزمه شرعا ، ،الى آخر
ماقال (رحمه الله) .
وقد كان من أمر عبد الله بن رواحه رضى الله عنه أنه لما نزلت
" يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون بعد أن حض على الجهاد في
قوله " هل أدلكم " قال : لاأزال حبيسا في سبيل الله حتى أقتل " .
قال ابن عربى : والصحيح عندى ان بالوعد يجب الوفاء على كل حال
الا لعذر ،واكد ان مكارم الاخلاق ومقتضيات المروءة تلزم المرء
بوعده مادام ممكنا والله تعالى يمدح في كتابه الكريم أقواما

فيقول : " والموفون بعهدهم اذاعاهدوا " (البقـــرة / ١٧٧)
وأثني على اسماعيل عليه السلام فقال : " واذكر في الكتاب اسماعيل
انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا " (مريـــــم/ ٥٤)
وكما استحق ابراهيم عليه السلام ثناء ربه عليه بقوله :
" وابراهيم الذى وفي " (النجـــم/ ٣٧)
لانه قام لربه تعالى بكل ما أمر به ،فان اسماعيل الذى قال لابيـــه
" ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ،واسلم نفسه لله حتى افتداه ربه
بذبـــح عظيم .
قال ابن جريج " لم يعد اسماعيل ربـه تعالى : عدة الا أنجزهـــــا
ولقد روى الامام ابن كثير في تفسيره اثارا عن اسماعيل عليه السلام
في هذا السياق بسنده عن سهل بن عقيل ان اسماعيل النبى صلى اللـــه
عليه وسلم وعد رجلا مكانا ان يأتيه اليه ،فجاء ،ونس الرجل ،وظـــل
اسماعيل بالمكان ،وبات حتى جاءه الرجل من الغد فقال :
مابرحت من هنـــــا ؟ فقال اسماعيل : لا ،قال : انى نسيت ،
قال : لم اكن لابرح حتى تأتينى .
ومن هنا كان صادق الوعـــد ..

والخبر حتى ههنا مقبول سائغ ،ولكن العجب من رواية ابى داود
على بن شوذب قال بلغنى انه اتخذ ذلكالمكان مسكنا ،وهو يشبه رواية
الثورى في قوله : " انه اقام في ذلك المكان عاما ،ولقد أورد ابـــن
كثير رواية الخرائطى في كتابه مكارم الاخلاق " ان رجلا بايع رسولالله
صلى الله عليه وسلم وابهمه عبد الله بن الحماد ،قال :

فبقيت له على بقية فوعدته ان آتيه بها بمكـــان ، كذا ،قـــال فنسيت يومى والغد ،قال فاتينه في اليوم الثالث وهو في مكانــــه ذلك ،فقال لـــــى :

يافتى لقد شققت على انا هنا منذ ثلاث انتظــــرك .

فمتى نفى بالوعد على مستوى الافراد والجماعات والشعـــوب لتشيع الثقة ويعم الوئام ،وتظلل الجميع رايه الامن والعافيـــــة والســـــلام ؟

الحياة الدنيا وكيف نعيشها ؟

عجيب امر هذه الحياة ، انها تحفل بالمتناقضات ، وتزخر بالعبر والعظات ،ولكن قليلين هم الذين يعرفون حقيقتها اويدركون عبرتها ، والقرآن الكريم ، والسنة النبوية معه يجعلان الحياة أمام البصائر والابصار بحال لايبقى للمخدوعين بها عذرا قال تعالى :

" واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فأختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا " . (الكهف / ٤٥)

وقال : (... حتى اذا اخذت الارض زخرفها وأزينت وظن أهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس ......) (يونس / ٢٤)

ولقد قرأ الحسن رحمه الله قول الله تعالى : (قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى ولاتظلمون فتيلا) .

(النساء ٧٧/)

فقال : (رحم الله عبدا صحبها على حسب ذلك ،وما الحياة كلها أولها واخرها الا كرجل نام نومه ، فرأى في منامه بعض مايحب ثم انتبه) . وانشد قول ابى مصهر .

ولاخير في الدنيا لمن لم يكن له * من الله في دار المقام نصيب

فان تعجب الدنيا رجالا فانهـــــا * متاع قليل والزوال قريـــــب

انها كرجل نام ساعة تحت شجرة ثم راح وتركها وهي كما قالعيسى في الحياة الاخرة : (كالحامل المتم التى لايدرى اهلها متى تفجؤهـم بوضعها ليلا او نهـــــارا) .

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسم الساعة وقال: (بعثت أنا والساعة كهاتين) واشار بالسبابة والوسطى من اصابعـــه صلى الله عليه وسلم ، والله تعالى يقول : (اتى امر الله فـــــلا تستعجلــــــوه) (النحـــــــــل/١)

وهو أخبار بالماضى عن قيام الساعة وانتهاء الحياة لتحقـــــق ذلك وظهور اشراطه وعلاماته (فهل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة فقد جاء اشراطهــــــا) (محمـــــــــــد/ ١٨)

وأشراط الساعة تتتابع منذ الرسول الخاتم ، وحديث متى الساعة في الصحيحين حجة في هذا وبلاغ ، ومجيء الاشراط ايذان بالمصير الـــي الله ، فماذا قدمنا من الحياة الى ما وراء الحياة ؟

أن سرعة انقضاء الحياة حقيقة توجب النشاط في ميادينها جميعا اخذا لما أعطى الله وبما شرع من وسائل وأساليب ، واداء لمقتضيـــات الاستخلاف لابلاغ الحياة كمالها الذي شاءه الله تعالى ، فما استحـــق الحياة ، ولاتأهل للايمان الحق من لم يكن فعالا ايجابيا ،في دفـــــع دولاب الوجود الى الامام قبل ان ينقضي العمر ،ويحل الاجل ، وتقـــول نفس : "لولا اخرتنى الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين "

(المنافقـــــــــــون /١٠)

وأجل الله اذا جاء لايؤخر ، قال تعالى :(ولن يؤخرالله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) (المنافقـــون /١١)

هذه الحياة ، وان تراخت زائلة لامحالة ، ورحم الله ابـــا العتاهية اذ يقـــول :

نـح على نفسـك يامسكين ان كنت تنـوح

لتموتن وأن عمّـرت ماعمـر نـوح

فقد لبث في قومه كما قال الله تعالى :) فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما) (العنكبـوت/ ١٤)

وقد كان ابو العتاهية كما قالوا يكتب على سقف بيته قوله :

اتطمع ان تخلـد لاأبالـك

أمنت قوى المنيـة أن تنالـك

اما والله ان لهـا رسـولا

بها لو قد أتـاك لما اقالـك

كأنى بالتراب عليـك يحثـي

وبالباكيـن يقتسمون مالـك

ولست مخلفا فـي النـاس شيئـا

ولامتـزودا الا فعالـك

أن فهم الحياة على حقيقتها ،لايثير في الاسوياء اكتئابـا أو أعراضا ، ولايثمر تجمها او امتعاضا ، ولكنه يعمق فيهم واجبالغبطة بمباهجها المشروعة ، والسعي الموصول في مراضى الله للحياةوالاحياء

حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (ابدا بنفسك ثم بمن تعول ثم أدناك أدناك) . وهو توجيه شريف لايعني شيئا من اثره او أنانيته ، فلو ان كل انسان اخذ بذلك نفسه لتواصل حبل الناس ووسع خير الله عباد الله ، ولما كان في الدنيا ، عان ولاعار ولامغبون ولكفكفت العيون المدامع واستقرت بالجنوب المضاجع كما قال المنفلوطي ، وهل الحياة الطيبة الا هذا ؟ مع القيام لله بما شرع من تكاليف وفرض من ذكر وعبادة .

وماذم الله تعالى الدنيا وهي من اغلى هباته الا لاقوام استهواهم بهرجها ، وخطف ابصارهم رونقها ، وسيطر عليهم حبها فلم يدع في انفسهم اهتماما بما وراءها ، والامام الجاحظ يقول اني لاعجب من الدنيا ، تصرع عشاقها وهي مع ذلك كثيرة الخطاب .

والابرار يقرأون الكثير من مثل قول الله تعالى : (أعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما ....) (الحديد/٢٠)
فينافسون في العمل بالاولى والاخرة ،ولاياوون الى الظل ، والناس من حولهم مشمرون في شتى الميادين ومختلف الاودية مع الهوى والشهوات ، وانتهاب اللذات ، وابتذال الذات طورا ومع الاختراع والعمل الضروري لصفو الحياة ورغد العيش اطوارا .

ومزاج المؤمنين في العمل للحياتين هو منهج الله ، الذي خلق الموت والحياة ،ليبلوكم ايكم احسن عملا ، ولقد حكى سبحانه

مقالة من نصحوا لقارون وقد غره ما أتاه مولاه ، قال تعالى:
(اذ قال له قومه لاتفرح ان الله لايحب الفرحين ، وابتغ فيما
آتاك الله الدار الاخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا واحسن كما
أحسن الله اليك ولاتبغ الفساد في الارض ان الله لايحب المفسدين)
(القصص / ٧٧)

ليتنا نرى الاخرة ، ونحن نتقاسم ما احل الله لنا في حياتنا الدنيا من مأكل ومشارب ،وملابس ومراكب ،ومساكن وازواج ،وما امتن الله به في قوله : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومه والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ، قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد) " آل عمران ١٤/١٥)

ان الدنيا هبة الله وأمانتة التى استرعانا اياها وهو محاسبنا عن اعمالنا فيم افنيناها ،وعن شبابنا فيم ابليناه فلتنظر نفس ماقدمت لغد وأى جهد بذلك لاصلاح الاولى التى لاتواجه الاخرى الا على غرارها ، ورحم الله سعيد بن جبير فقد قال :
" الدنيا متاع الغرور ان الهتك عن طلب الاخرة " .

وهى نعمت الوسيلة ان دعتنا الى التنافس في السعادة بها والانس بالسالكين سبل العمل للدارين وذلك هو الفوز العظيم .

كيف ننفق أوقات الفراغ ؟

يطيب لبعض الناس أن يقتلوا الوقت ،ويشغلوا فراغهم كيفما أتفق ناسين أن لحظات الحياة هي نسيج العمر ،ولبنات صرح الوجود ،وانها اذا لم تنفق فيما ينفع ويرفع اباء صاحبها لصفقة مغبون وراح من دنياه غير مذكور بخير ولا احسان .

وقد الف بعض الصائمين أن يزجوا فراغهم ،او يسلوا صيامهم كما يقولون - ببعض اللعب والقراءات التى لاتجدى ،ومشاهدات مالايتفق وآدب ديننا ،وصوم الصائم الذى ينبغى ان يؤثر مايطهر نفسه ويزكيها ويعليها عما يخرجه الى الاذقان وظاهر الحديث يبرز غفران الذنوب الصغائر والكبائر ،لكن الامام النووي رحمه الله يقول عن الفقهاء انهم يرون غفران الصغائر دون الكبائر ، ويرى عياض ان ذلك فقه أهل السنة ،كما أورد ذلك الشوكاني في نيل الاوطار والذين يتخرجون في مدرسة الترويح ويؤدنها كما يحب الله تصنع عندهم ملكة الادارة الخيرة والمراقبة المبصرة لله رب العالمين ،وتكون هذه الصلاة الخاصة الى مثيلاتها من النوافل مدرجة الى مايوجب حب الله ،وجبه عز وجل عصمة من الزيغ ،وأمان من العصيان وفي الحديث القدسي " ولايزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذى يبصر به ،ويده التى يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولئن سألنى لاعطيته ،ولئن استعاذني لاعيذنه .." الحديث والف الصغار والكبار ان يبعثروا ايام الصيف في لهو موصول

وعبث فارغ ممقـــــوت ولو انهم اعطوا أنفسهم شيئا من اللهـــو المشروع ، وروحوا عنها من كلال الجدبالرياضيات الرفيعة ،والقــراءات المجدية والسمر الكريم ، ما عتب عليهم عاتب ولاعابهــــم عائـــب ولاكرهنا ولاكره احد من المنصفين منهم تصرفا ، ومن الاثار المضيئـة في دين الله " روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فانها اذا كلت عميت "

" ان القلوب تمل كما تمل الابدان فالتمسوا لها طرائف الحكم"، ولاشك ان المرء تعلن عنه كلمته ، كما قيل " المرء مخبوء تحـــت لسانه " وعمل المرء وتصرفه يدل كذلك عليه " وهو مسؤول دينا ودنيا عما يقول ويفعل والمرء حيث يضع نفسه وصدق الله العظيم :

" ولاتقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئـــك كان عنه مسؤولا " وكم يكون اخذ الرياضيات الرفيعة باعتــــدال ، وأحتشام هو شرط الاسلام في الهزل والجد ، وقد يكون ذلك ان أحســن فيه النية من الطاعات التى تقرب الى الله زلفـــى ...

ولاوائلنا دستور عجيب لعمل اليوم والليله ،يؤدى فيه حق اللـــه وحق البدن في الطعام والشراب والنوم الضرورى ، وحق الجسم فـــي الرياضيات الرفيعة المعتدلة ، وحق العقل والروح في تسريح الفكـر واعمال العقل في تأمل ما حولنا في الكون والملكوت الاعلى .

هذا ولو اننا عرفنا قيمة الوقت وذلك متاح نعرفه من ابتـداء يوم وأنتهائه وأقبال ليل واظلال نهار ، لو أننا عرفنا قيمة الوقت واستثمرناه كما يريد الله لازدهرت الحياة وتوفرت مطالب الاحياء وكنا بحق خلفاء الله في عمارة ارضه واصلاح كونه وكان العلم الذى نحصل

عليه منه غايات ، وغايات وقودا صالحا لعمل الصالح نسبق بـــــــــه.
العاملين في جوانب هذا الكوكب ، ولقد خلد الحرص على العلم اقـدار
أوئلنا لانهم رصدوا له الوقت وحشدوا فيه الاخلاص وابتغاء وجه اللـه

روى ابن خلكان في وفياته " ان سليم بن ايوب الرازى كان لايخلو
له وقت من الاشتغال بالعلم " .

والله تعالى يقول " فاعلم انه لااله الا الله واستغفر لذنبــك
وللمؤمنين والمؤمنـــــــــات " .

كيف يحتفلون بالقرن الخامس عشر الهجرى ؟

الذين يحتفلون على مدى خمسة أعوام للقرن الخامس عشر للهجرة ، يؤدون بعض الواجب للرسول الكريم ،ولرسالة الحق والخير والعزة ،ولللامة التى لاتكون وهؤلاء الاخوة شيئا الا بقدر أرتباطهم بهذا الدين ،ومجاوزتهم مجال الكلام الى ميادين التطبيق ،واتاحة الفرصة من أجل أن يكون الاسلام حاكما مهيمنا مشرفا على توجيه قوى هذه الحياة التى استخلفنا الله فيها ،لنبلغ بها أسمى مايمكن أن يبلغه الاسوياء الذين سيسألهم الله عز وجل عن علمهم ماذا عملوا به .

وجوانب التعريف بالاسلام وكشف اللثام عن أصالته ،وعن الحاجة الماسه اليه في كل وجه من وجوه الحياة ، وعن معدنه وكفايته وضرورة الاستغناء به عن كل ما سواه والثقه بما جاء الحياة مع الوحى المتمثل في القرآن الكريم والسنة المطهرة التى هى وحى الهى كذلك ،بشهادة القرآن نفسه ،والله تعالى يقول :

" وما ينطق عن الهوى ،ان هو الا وحى يوحى ، علمه شديد القوى " (النجم ٣ /٥)

جوانب من جوانب كثيرة استهدف الاسلام بما أقامة المجتمع المسلم الذى تحكمه العقيدة وتضيئه العبادة ،ويعطره السلوك والذى

وصف الله أهله فقال تعالى :" كنتم خير أمه أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " (آل عمران/١١٠)
وهو ايمان من منظور الاسلام يجلوه قول الله تعالى : " والمؤمنون كل أمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله "
(البقرة/٢٨٥)

والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من ملامح الامة الفاضلة ،ورحم الله أبا حفص عمر فقد قال : (من أراد أن يكون من هذه الامة فليؤد شرط الله فيها) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله وكيف لايكون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمكانهما في إرساء قواعد الامة وإحكام بنيانها وإعلاء صرحها وتنقية الحياة من سفساف الامور والارتفاع بها الى مستوى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (تخلقوا بأخلاق الله) وقول الله تعالى لمصطفاه " وانك لعلى خلق عظيم " (القلم / ٤)

والمحاضرات التى تدعو اليها هيئات ومجالس لها في النفوس مالها من أعزاز ، ينبغى ان تكون أضافة بصيرة لمحاسن الاسلام ،تلفت الانظار الى مايغلفه الدين من كمالات ، فكم يشق على الانفس أن تجد ناسا من وراء الساحة الاسلامية كامثال الاستاذ الدكتور رجاء جارودي وموريس بوكاى يعرفون من ذلك مالا يعرفه بعض الاساتذه الكبار، اولعلهم يعرفونه لكنهم - لما لاأدري- يشق عليهم الاعتراف به ،وليتهم وقفوا من الجحود للاسلام عند هذا الحد فان منهم من يعمل دائبا في الاشغاب على فضائل الاسلام ،والتشكيك في مسلماته ،والتجهم للتراث الجليل

الذى استرعى الاجيال هدايات القرآن والسنه والسيرة ،وحياة الاوائل في رحاب الاسلام ،ولاة وقضاة وفقهاء ،ودعاة ومعلمين ومتعلمين ومستمسكين بالاسلام دالين بسلوكهم عليه ،منذ عرفوا من وصايا الدين العظيم (أنت على ثغر من ثغور الاسلام فلا يؤتين من قبلك).

أجل كم يشق على الانفس ان نجد ممن تدعوهم بعض المحافل العلمية والادبية للاسهام في اهتماماتها بالقرن الخامس عشر للهجرة من يشيرون التراث على ذكرى الفقهاء والمجتهدين عبر التاريخ ،وهم يهونون من اقدار قمم علمية معاصرة لها في أقل القليل حق الاستاذية على هؤلاء ، الذين زعموا ان الاستاذ الدكتور صبحى محمصانى القانونى الفقيه ،والدكتور على عبد الواحد وافي وهو من رواد علماء الاجتماع المسلمين ،والشيخ محمد الغزالى وهو أستاذ يفهم دينه وعلومه ومنهج الدعوة الاسلامية ،ومسيرة الامة على نحو متميز ،ومؤلفاته الموضوعية ترجح بها كفة ميزان يوضع في كفته الاخرى بعض أدعياء الفكر والمحصول الثقافى .

يزعم هؤلاء ان أولئك الاساتذة قد حاولوا أن يجعلوا لمقررات حقوق الانسان الدولية أسنادا وحججا من الاسلام ،ولاأعلم ولاأحسب أحدا يعلم ان الاساتذة كتبوا في هذا المعنى الذى نسب اليه ،وما من أحد يحترم نفسه وقلمه الا وقد كتب أن هذه المقررات الدولية عن حقوق الانسان قد سبق بها الاسلام ،وخطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع قد جمعت ماتفرق في القرآن والسنة من هذه الحقوق للانسان الذى كرمه ربه ،وخلق له مافي الارض جميعا ،واسبغ عليه

نعمة ظاهرة وباطنـــــة ٠

وعجبا ينقضي دونه كل عجب أن يدعونا هذا المحاضر أو ذاك، أن نجعل أراء الفقهاء والمجتهدين دبر الاذان ،ووراء الظهور ،ثم يسمح لنفسه أن يقعّد قواعد ،ويقرر مبادىء ،ويفع قيما فكرية لايـــــودأن يردها عليه أحد ،فان فعل ذلك أو همس به ،من ينكرون على الباطـــل أن يمشي في النـاس ورفعت انوف،وعلا بغير الحق صياح ٠

أن المسوؤلين عن انبهار حلوق اقوام بغير الحق في بعـــــض المنتديات ،يرجع الى الذين مكنوهم من هذه المنتديات وفيالساحة من وهم أعمق فهما ،واوثق علما ،وانقى سمعة ومسلكا ،واذا وهـــــم فصدق قول من يقول أننا في الشرق ننسى بعد حين فاننا نذكر ولاننسى مؤلفات صار حولها كلام ولم ينته الى الان ٠

ان اناسا بما يصرخون به من أراء يردون الى الاذهان قـــــول الشاعـــــر :

واذا خلا الميدان من أســـــــــد

رقص ابـــن عرس ونومـــس النمـــــسي

لكن الميدان لايخلو ابدا ،وهو يقينا لايخلو عندما يستهـــدف الاسلام ويحاول اقوام ان يقنعوا اثمين غيرهم بتعطيل أيات مـــــن القرآن الكريم ،كذلك التى تذكر الحكم والجزية والردة الىالمسيحيه أو اليهودية ،وهؤلاء يبلغون المدى من الجهالة وهم يفهمون الاســلام عبادات ،مجرد صلاة وصيام وحج ،ويقررون انهم بين العابدين للـــــه

ثم لايجاوز الاسلام بوهمهم وفهمهم هذا النطاق الضيـــق .

ان الاسلام دين ينتظم الحياة والاحياء جميعا فهو حكم وقيـــادة وسلوك وعبادة ،وهو الدين الذى يقول فيه كتاب الله عز وجل خطابـــا للنبى عليه الصلاة والسلام .

" فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجـــدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما " (النســـاء/٦٥)

ويقول : " وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهـــم" (المائـــدة/ ٤١)

وأعجب معى من انسان لايقبل آراء الفقهاء والمجتهدين في خيـــر العصور ثم يبحث لكلامه عن سند من كلام الشيخ محمد عبده والشيـــخ عبد العزيز جاويش رحمهما الله .

ان الذين يتحرشون بالاسلام ، ويقولون فيه بغير تثبت بينمـــا يقول المفكر المسلم الدكتور رجاء جارودي وعشرات من وراء الساحـــة مانكاد نقبله ،ونفرح به ،ونذكر معه قول الشاعر :

أصديقى يود أنـــــي أســـــــاء
وعدوى يظـــــن فيـــه الوفـــــاء
عكس الامـــر لامحالـــة لكــــــن
ربما انجـــد الفريـــق المســـاء

وحاشا أن يكون جارودي وأمثاله المنصفين اعداءوأن يكـــون هؤلاء الادعياء من الاصدقاء ولهذا الاجمال تفصيل والله يقول الحق وهـــو يهدى السبيـــــل .

المؤذن داعي اللـــــه

المؤذن داعي الله تعالى الى الصلاة ، عماد الدين وثانيــــة الاسلام ، وهو اعلام بدخول وقت الصلاة ، يدعونا اليها داعي اللـــــه بهذا الكلام العذب الجليـــل ، الدال على أجل المعاني ، الملهم لاشرف العلوم ، الداعي لاكرم المرادات ، وماذا وراء الله اكبر ، أشهـــد أن لا اله الا الله ، اشهد ان محمدا رسول الله ، حي على الصـــلاة حي على الفلاح ، لا اله الا اللـــه ؟

أنه كلام جليل ، لم يعرف دعاء الى عبادة في غير الدين الخاتم للصلاة المتميزة في رسالة الاسلام ، فلقد كان في الاسلام صلاة قبـــل الاسراء والمعراج ، وكان في الرسالات السماوية صلاة ، وقد عـــرف الانبياء والمرسلون الصلاة ، ولكنها كانت على نحو يغاير صلاتنـــا التي جاء جبريل صبيحة ليلة الاسراء والمعراج ، يعلم النبي صلـــي الله عليه وسلم اقامتها سفرا وحضرا ، وسرا وجهرا ، وفروضا ونوافـــل وعلى كلّ حال ، ثم كان الاذان بعد ذلك في رؤى للصحابة وافقت ما علـــم الله تعالى مصطفاه صلى الله عليه وسلم .

أخرج ابن خزيمة في صحيحة بسنده قال : أرى عبد الله بن زيـــد بن عبد ربه أخو الحارث بن الخزرج النداء (الاذان) وأتى رســـول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله : انه طاف هذه الليلـة

طائف مر بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا في يده فقلت ياعبد الله اتبيع هذا الناقوس؟ فقال وماتصنع به ؟ قلت :ندعو به الي الصلاة ، فقال : الا أدلك علي خير من ذلك ؟ قلت : ماهو قال تقول :

الله اكبر ، الله اكبر ، الله اكبر ، الله أكبر ، اشهد ان لا اله الا الله ، اشهد ان لا اله الا الله ، اشهد ان محمدا رسول الله اشهد ان محمدا رسول الله ، حي علي الصلاة ، حي علي الصلاة ، حي علي علي الفلاح ، حي علي الفلاح ، الله اكبر ، الله اكبر ، لا اله الا الله " ثم استأخر غير كثير ، ثم قال : مثل ماقال وجعلها وترا الا قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة ، الله أكبر ، الله أكبر لا اله الا الله .

فلما خبر بها رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : انها لرؤيا حق ان شاء الله ، فقم مع بلال فالقها عليه ، فانه أندى صوتا منك .

فلما أذن بها بلال سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في بيته فخرج الي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يجر رداءه وهو يقول : يانبي الله والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل مارأى .

فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : (فلله الحمد فذاك أثبت).

والمؤذنون لهم في السنة أشادة وتنويه ، ففي صحيح مسلم عن معاوية رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :

(المؤذنون أطول الناس أعناقا يوم القيامة) . وطول العنق في كلام سيدنا رسول الله كناية عن استشرافهم وتأهلهم أكثر من سواهم الى رحمة الله تعالى ، ومن حق المؤذنين ان تطيب أنفسهم بعملهم وان يتوفروا عليه بكل صدق وان يأخذوا له الخشوع والسكينه وهم يخلفون بلال بن رباح في الاذان الذي ذهب بشرفه منذ قال الرسول عليه السلام لعبد الله بن زيد : (فانه اندى صوتا منك) ولاكثر من هذا وهو أن يسقط الرسول فوارق اللون والجنس ، ويسدل الستار على ماتعورف من قبلية وعرقية ، لتبرز أخوة العقيدة ، ووحدة الدين وشرف العمل ، اخرج البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لو يعلم الناس ما في النداء والصف الاول ثم لم يجدوا الا أن يستهموا عليه لاستهموا عليه ....) الحديث .

والنداء هو الاذان قال الله تعالى : " يا أيها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع)
(الجمعة / ٩)

وذكر الله عز وجل ها هنا هو خطبة الجمعة فهل يحرص على شهودها الناس ؟

والصف الاول الذى يلى الامام للرجال ففضلة ها هنا يحرزه من هجر الى الصلاة وآتى المسجد مبكرا ، لا أولئك الذين يتخطون الاعناق ويزحمون السابقين الذين لافرجة عن ايمانهم وشمائلهم لغيرهم وان للنساء لفغلا ينبغى أن يحرصن عليه وهن يباعدن أنفسهن عن

صفوف الرجال المتأخرة . وفي الاثر : " خير صفوف الرجال أولهـا وخير صفوف النساء آخرها " .

هذا في بيوت الله ايها الناس فهل عرف الذين يسادون بالاختلاط في غير التزام ولا احتشام كيف يبعدون عن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مؤثرين اهواء يقول فيهم الله عز وجل معها :

" ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله "

(القصص / ٥٠)

وليهن المؤذنين ما أخرج البخاري عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن صعصعة ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال لابى سعيد الخدري رضى الله عنه : " انى اراك تحب الغنم والبادية فاذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء فأنه لايسمع مدى صوت المؤذن جن ولا أنس ولاشئ الا شهد له يوم القيامة).
قال سعيد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ان مبلغ مايصل اليه صوت المؤذن من مكان وما يستوعب من ثقلي الانس والجن والاشياء التى تشمل الحيوانات والنباتات والجمادات وما لانعلم ، تندرج جميعا تحت قوله صلى الله عليه وسلم :(ولاشيء)

وما أكرم الرسول وهو يوجب باذن ربه شهادة هؤلاء للمؤذن بالفضل وصالح العمل يوم الجزاء الحق ، وقول ابى سعيد مرة آخرى (سمعته من رسول الله) توكيد للخبر الجليل والوعد الجزيل .
والنبى عليه الصلاة والسلام يعلى من قدر الاذان الى المدى الذي يرهبه الشيطان ، فلا يمضى المؤذن في اذانه الا هرول الشيطان ماضيا مرسلا

من دبره أصواتا قد تكون اثر الهلع والفزع ، وقد تكون من فعلـــه لقول رسول الله صلي الله عليه وسلم كما روى ابو هريرة في الحديث المتفق عليه : حتي لايسمع الاذان فاذا قضي النداء اقبل ، حتـــي اذا قضي التثوب أقبل ، حتي يخطر بين المرء ونفسه ـ أى يوسوس يقـــول (اذكر كذا واذكر كذا لما لم يكن يذكر من قبل حتي يظل الرجـــل مايدرى كم صلي) .

أن الشيطان يدبر مهرولا فزعا من الاذان والاقامة ، ففيهما يكـون اجتهاد المؤذن والمقيم متابعا القول علي نحو لايدع فرصة لمداخلـــة الشيطان فاذا انتهي منهما ودخلنا في الصلاة حاول الشيطان ان يوسوس ويشغل الخواطر بما لم نكن نعرف ، ولايسلم من محاولاته الا من عصـــم اللـــــه .

والرسول يوجب ان نتابع الاذان فتقول مثلما يقول المؤذن الا في (حي علي الصلاة ، حي علي الفلاح) فاننا نقول بعد ذلك لاحول ولاقوة الا بالله وقد سن لنا صلوات الله وسلامه عليه بعد الاذان ان نســـأل الله الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة له صلي الله عليه وسلم ، وان ذلك لبعض حق الرحمة المهداة ، وجزى الله عنا نبينـــا محمد صلي الله عليه وسلم وهو أهلــــه .

تهادوا النصائح

جهل الانسان عيوب نفسه ،وخفاء بعض ماينكره المجتمع ،وتأباه الفطرة عليه ظاهرة تتصل به ،وتلازمه ،وتكاد تكون قاعدة لايشذ عنها الامن عصم الله ،وغلبت نوازع الخير فيه ،على دواعي الشر وجعله دائما امام الميزان الذى اعطاه النبى صلى الله عليه وسلم للرجل الذى سأله ،ما الخير ؟ وما الشر ؟ فقال ... (استفت قلبك الخير ما اطمأنت اليه النفس ،والشر ماحاك في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس " .

والكمال من صفات جلال الله ،وانما يقرب الناس من ذلك الكمال او يبعدون بقدر حظهم من التخلق بأخلاق الله ،والتمسك بأهداب الدين والحفاظ على هدى الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، أو أخذهم بنصيب من سئ الاخلاق وسفاف الامور ولقد سبر النفس الانسانية الذى قال :

اذا ماعلا المرء رام العلا * ويقنع من كان دونا

وتفاوت الناس في حظوظ الكمال والنقص ينبغى ان يحفز الاخيار الى التعرف على الكاملين والتودد اليهم وتسليط الاضواء على أعمالهم حتى يحرصوا عليها ويزدادوا منها ،وتكون مجال قدوة ، ويكونوا هم بها شواهد في كل عصر ومصر على صدق المعصوم صلوات الله عليه في قوله : " ولاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق

لايضرهم من خالفهم ، حتي يأتي امر الله " .

ومافي اطراء المحسنين والثناء عليهم من بأس ، اذا كان ذلك لوجه الحق لالمجرد النفاق وابتغاء غرض من الحياة هزيل .

ولقد عاب النبي صلوات الله عليه من وراء الغيب أقواما يوسعون مجالس أولي الشأن في ازمان بعد أزمان فقال " لاتقولوا للمنافق " سيد " فانه ان يك سيدا فقد اغضبتم ربكم عز وجل " . وفي مثل وجوه هؤلاء أمرنا الرسول ان نحثو التراب غير متحرجين لكنه صلوات الله عليه يذكر أصالة آخرين وصدق ايمانهم فيقول :

" اذا مدح المؤمن في وجهه ربا الايمان في قلبه " ..

وتتواتر احاديثه صلوات الله عليه بثنائه واعلائه لاقدار صحابته رجالا ونساء فضاعف بذلك من ولائهم لله ولرسوله وافتدائهم للاسلام واستهدائهم علي كل حال بهداياته ... ولقد دخل علي المأمون رجل فسأله حاجة ، فلم يقضها امير المؤمنين .

فقال الرجل ياأمير المؤمنين - ان لي لشكرا ..

فقال المأمون : ومن يحتاج الي شكرك ؟ فأنشأ الرجل يقول :

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد * لكثرة مال أو علو مكان

لما ندب الله العباد لشكره * فقال اشكروا لي ايها الثقلان

فقال المأمون أحسنت وقضي حاجته .

والتفاوت الخلقي بين الناس يدعو أولي الفضل الي تعاهد الذين التوت بهم اهواؤهم وذهب بهم عن سواء السبيل سوء توجيه او غفلة سيطرت عليهم وصرفتهم عن الله وشرعته ، ومن حق هؤلاء الناكبين

عن الجادة الضاربين في الحياة على غير هدى أن نذكرهم بالصواب في رفق وأن نبصرهم بالخير في هوادة وأن نأخذ بايديهم من عثراتهم دون من ولا أذى ،والا كان كلامنا قبض الريح لاطائل تحته ولا جدوى منه.
وان كلام المرء في غير كنية * كالنبل تهوى ليس فيها نصالها
" وكل بنى آدم خطاء " كما يقول النبى صلى الله عليه وسلم ....

بذلك الرفق وتلك الهوادة في الدعوة الى الله والتذكير بالحق أدب الله مصطفاه فقال :-" أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ...." (النحل /١٢٥)
" ولاتجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن ،الا الذين ظلموا منهم وقولوا أمنا بالذى أنزل الينا وانزل اليكم والهكم واحد ونحن له مسلمون " . (العنكبوت/٤٦)

ويرسم الله للرسول منهاج خطابه للمبطلين فيقول تعالى:
" قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين " فمع ان الهدى لاريب في جانب محمد ،وان الحق لايتعدد ،فلقد اقام الرسول حجة بهذا التعميم دون التخصيص حتى يرتوى الدعاة الى الله من هذا المعين الغدق ،وهم يلقون بدعواتهم انماط وضروبا من الناس ارسل الله الى من هو شر منهم موسى وهرون عليهما السلام وقال لهما : (أذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى " وقال تعالى " واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لاتعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى

واليتامي والمساكين وقولوا للناس حسنا " (البقـــــرة/ ٨٣)

وحين أستحب الناس العمي علي الهدى تابع الله فيهم رسلـه فنصحوهم فكان الناس الا قليلا ممن هدى الله ،كما قال نوح عليـه السلام" واني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهـم واستغشوا ثيابهم واصروا واستكبروا استكبارا" وكان نوح عليـه السلام أول من نصح قومه فعادوه وآذوه مع تلطفه وصدقه، قـال تعالي حاكيا مقالة نوح .." ابلغكم رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله مالاتعلمون . (الاعـــــراف/ ٦٢)

وعن مقالة هود عليه السلام لعاد قال تعالي " ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح أمين " وقال عن كلام صالح لثمود " فتولـي عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين وحكي سبحانه مقالة شعيب لقومه فقال :"ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف اسي علي قوم كافرين"(٩٣/ الاعــراف)

وهكذا جشمت النصيحة هؤلاء المرسلين المشاق والتهديد بالنفي من الارض والاخراج من الديار" وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكـم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحي اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم " وقال قوم شعيب " لنخرجنك ياشعيـب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا " وحتي قوم لوط الذين كفروا واسفوا في الفاحشة حكي الله من باطلهم " فما كـان جواب قومه الا ان قالـوا أخرجـوا آل لـوط مـن قريتكـم انهم اناس يتطهرون"ولايكون التطهر والشرف واستقامـة الاتجـاه

والايمـــــان بـالله عيبـا الا في تقدير أقـــوام لايصدقون في دعـــــوى انتسابهم الي الانسانيـــــــة .

اذا سائني اللاتى أدل بها * وكانت ذنوبا فقل لي كيف اعتذر

وهكذا صنعت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى:

" واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكــرون ويمكر الله والله خير الماكرين " (الانفـــــــــال/٣٠)

والطغاة الذين يحكمون اقوامهم لصوالحهم واهوائهم يتابعون قريشــا في نقمتها ولعنتها التي فعلتها هذه الاية ،كلما نصحهم ناصـــــح وصارحهم بالحق مصارح ،ولو أنصفوا لهشوا لهؤلاء وبشوا وقالوا كمــا قال عمر رضى الله عنه :- (رحم الله امرأ أهدى الى عيوب نفسى" .

كان رسول الله صلوات الله عليه رفيقا بكل متحدث اليـــه أو مقبل عليه من أوليائه واعدائه على سواء ،وما أعظم دلالة قول النبى " أحب أن يعلم أهل الكتاب ان في ديننا سماحة " وقوله في موقـــف عاصف في ثقيف " اللهم أهد قومى فانهم لايعلمون " وخذوا مثلا مــــن امثال ليس الى حصرها من سبيل روى الامام مسلم بسنده عن معاوية بـــن الحكم السلمى رضي الله عنه قال " بينا انا أصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ،اذ عطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله فرمانـــــى القوم بابصارهم فقلت ،واثكل امياه ،وماشانكم تنظرون الى فجعلــــوا يضربون بايديهم على افخادهم فلما رأيتهم يصمتوننى سكت .. فلمــــا صلى رسول الله صلى الله عليه وســــــلم بأبــــــي هو وأمــــــي مارأيت معلما قبله ولابعده احسن تعليما منه فوالله ماكهرنـي-الكهر

النهر ولاضربني ولاشتمني قال : أى رسول الله " ان هذه الصلاة لايصلح فيها شئ من كلام الناس انما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن او كما قال صلى الله عليه وسلم ،قلت يارسول الله اني حديث عهد بجاهلية ،وقد جاء الله بالاسلام وان منا رجالا ياتون الكهان قال : " فلا تأتهم " قلت ومنا رجالا يتطيرون قال " ذلك شئ يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم " .

ففي الحديث حلم الرسول وصبره على الجاهل وتألفه بالحكمة والموعظة الحسنة " فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظا لانفضوا من حولك " ولقد كان صلوات الله عليه يرى احيانا ويعلم من شؤون بعض صحابته مايكره فلا يواجههم بالنصيحة السافرة الجهيرة في ملأ من قومهم ولكنه كان يعمم توجيهاته ويطبع اقواله بطابع الشمول فيقول :

" مابال رجال يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ؟ من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فهو باطل "

" ما بال رجال يتنزهون عن اشياء أرخص فيها ؟ والله انى لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده " .

" ومابال رجال يقول احدهم اما انا فاصوم فلا افطر ..... الحديث" .

وروى الترمذى في باب الحياء ،قالت عائشة رضى الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغه من أحد مايكره ،لم يقل مابال فلان يقول كذا وكذا ولكن يقول " ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولايسمى فاعله " .

أجل كانت تلك سنته صلى الله عليه وسلم في كل نصائحه التي تمس اشخاصا بذواتهم وكان ذلك سمت اصحابه رضوان الله عليهم في حياته وبعد ان آثر الرفيق الاعلى ......

احدث رجل في مجلس النبى فقال صلى الله عليه وسلم ليقم صاحب الصوت فليتوضا ،فلم يقم أحد ،وكرر الرسول قوله والقوم لم يقم منهم أحد فقال العباس " يارسول الله الا نقوم جميعا فنتوضأ ؟ فحمد الرسول رأى العباس ودعا له بخير .

حقا ان الدين النصيحة :

==================================

كما قال النبى صلوات الله عليه وايجاب النصيحة بهذا الاسلوب يقرر في الاذهان انه ليس من الايمان في كثير ولا قليل ان نعرف شيئا من انحراف المنحرفين ،او يحيطوا من خطايانا بطرف ثم غضة ويغضون عن واجب النصيحة .

ولقد عبر الله عن غضبه علي بنى اسرائيل وعلمائهم الذين كانوا يؤاكلون العصاة ويشاربونهم فقال :" لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانو لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون ،ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ماقدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون " وعسى ان لايقول هؤلاء الذين يتبذلون في مجالس ناس الدنيا ويجرون الكلام

في الدين علي اهواء هؤلاء ويضعون انفسهم مواضع الاتهام بمتابعة هؤلاء الاقوام والجرى اللاهث وراءهم اين ذهبوا .. عسي ان لايقولوا ان حديث القرآن الكريم انما هو عن بني اسرائيل .. ناسين أن الشر شر في كل عصر ، وان المنكر منكر الي ابد الزهر ، ورحم الله عمر اذ قال :" من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من اساء به الظن " او كما قيل " من وضع نفسه مواضع التهمة اتهم ولااجرله".

والرسول صلوات الله عليه يقول" ويل للذي يتكلم الكلمة ليضحك الناس ويل له ثم ويل له ثم ويل له " وهو يقول قول لايعارض المزاح بالحق ولايختلف والطرفة العفيفة والدعابة الكريمة التي نتخفف بها من كلال الذهن وضيق الصدر وفتور الهمة من عمل جاهد .. ومن آثار الاسلام " ان القلوب تمل كما تمل الابدان فالتمسوا لها طرائف الحكم" (روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فانها اذا كلت عميت " وكان ابن عباس رضي الله عنهما يدعو جلساءه الي ذلك احيانا فيقول "حبضوا.. حبضوا " وكان معلم الناس الخير صلوات الله عليه بمزح ولايقول الا حقا ، وكان يضحك حتي تبدو نواجذه ، وكان ضحكه التبسم صلوات الله عليه .

الدين النصيحة

من معالم الهدى الاسلامي ان صديقا كلما لقيك ذكرك بعيب فيك خير لك من صديق كلمالقيكوضع في كفك دينارا" ان الدينار يضيع بعدقليل ، بينمايبقي العيب . ولقدبر وصدق من قال :-
وقل رمي بك في بيداء مهلكة * من بات يكتمك العيب الذيفيكا
والنصيحةفي الدين دين فياعناق، وحق في ذمم الذين انتدبهم الاسلام

للتفقه في الدين ومعرفة الحلال والحرام والطاعات والاثام والقـــدرة علي الاقناع بذلك كله ... قال تعالي :ـ

" فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الديـــــــن ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون " فما أكثر مايبتلي المجتمع بادعياء يتطاولون الي هذا الواجب لافي الامور المعلومة مـــن الدين بالضرورة ولكن فيما لم يلح لهم فيه وجه الصواب،وقبل ان يجمعوا لانفسهم بين العلم والعمل بصورة تجعلهم قدوة بحالهم قبل ان يكونـــوا قدوة بمقالتهم .. ولقد نعي الله مثل ذلك علي بني اسرائيل فقـــال:

" اتأمرون الناس بالبر وتنهون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افـــــلا تعقلـــون " . وانكره سبحانه وتعالي علي المؤمنين فقال :

" ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند اللـــــه ان تقولوا مالا تفعلون " . (الصـــــــف٢/٣)

والشاعر الذى يقول :ـ

أعمل بقولي ولاتنظر الي عملـي * ينفعك قولي ولايضررك تقصيـــــــــرى

شاعر يجهل طبيعة بني اسرائيل وخاصتهم من الاحبار وهو كذبالــــــة المصباح التي تضيء علي الناس وهي تحترق وكحجر السن يسن الحديـــــد ولايقطع وهو اخير اكطبيب يداوى الناس وهو مريـــض .

وأنك اما تأت ما أنت آمــــر * به تلف من اياه تأمر آتيـــــــا

والاكفاء العارفون الذين ينكلون عن واجب النصيحة ـ احوج مايكـــون الخاصة والعامة اليهم انما هم الملح الذى فقد خاصيته وهم سقـــط المتـــاع الذىلاينـاط بهم أمل ولايتعلق بهم انتفاع وهـــم السلبيـــون

الذين يسلكون في قرن مع الذين قال الله عنهم :
" ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم " وايـــــن مايستهدفونه من أمان ان كان من وعيد الله في قوله :-
" ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بينـــاه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا واصلحوا وبينوا فأولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم "

(البقـــــــرة /١٥٩)

بعد أن اخلفوا الله ماوعدوه واعطوا فيه مواثيقهم كما قـــال تعالي :- " واذا أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننـــه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئـــس مايشترون " .

(آل عمــــــران /١٨٧)

وليت الذين قصروا في نصح الخاصة قد عالجوا هذا التقصير فبددوا جهل العامة جهد أستطاعتهم ...فانه لمما يفني النفس ويكاد يمـــزق القلب ان يغفل أهل الحق ويكسلوا عما يجب من رعاية له وسهر عليـــه وهم يرون كل شيء من حولهم في ملكوت السموات والارض دائب الحركـــة مسارعا الي الغاية التي خلق لها لايتوقف ولايتخلف طرفة عين عـــن أياته - وفي قرى بلاد عربية - زرتها وعملت فيها سنوات - جماعـــات من اديان أخرى تدعو الي مامعها من آراء ومواريث بغير كلل او ملـــل وربما توسلوا الي مايريدون بكثير من التجني والكذب وهم ينفقـــون في سبيل ذلك ، أموالا تنهال عليهم من جهات وجهات ولايحاسبهم احدكـــم انفقوا ؟ وفيم انفقـــوا ؟

ولو اننا اخذنا من نشاط هؤلاء المبطلين شيئا يسيرا لاداء رسالة

الحق الذى لا ريب فيه لدنونا بذلك من ادب الرسول لامته " خذوا الحكمة من أى وعاء " .

وكم من قرية اسلامية في اقطار عربية لايدرى اهلها من امر دينهم شيئا وربما عرفت من غير دينها اشياء واشياء ،زرت مع بعض العلماء قرية - في قطر عربى - احتفظ باسمها - فلما القينا على اهلها السلام ردوا علينا بما ليس من تحية الاسلام في شئ ،وبعد ان جلسنا اليهم وانسوا بنا وحضرت الصلاة ،دعوناهم الى ان يتوضأوا فغسلوا أيديهم ووجوههم - اى وربى ايديهم ووجوههم ولاشئ وراء ذلك - وقالوا توضأنا .....

وزرنا قرية آخرى فوجدنا مسجدها مغلقا ووجدنا مفتاحه عندجارة غير مسلمة ،ولقد روعنا بعد أن فتحناه ان وجدناه مهملا تتناثر في جوانبه اوراق المصاحف الممزقة .. وتتزاحم في ذهنى صور من ذلك كثيرة تؤكد مسؤلية ولاة الامور الذين يبذلون جهودا جبارة فيالتوعية السياسية ويجندون في هذا الميدان مايسمونه وسائل الاعلام ويمنحون العاملين في ذلك من التقدير المادى والادبى مالا ينال البناة الصادقون ادنى حظوظه ثم لايضرب ولاة الامور بانفسهم وتصرفاتهم المثل في رعاية الدين والحفاوة بنصائح الناصحين " والناس على دين ملوكم " ،ومسؤلية العلماء الذين يناط بهم امر الدعوة الى الله والتذكير بالحق ما امكنت فرصة ،والجاهلون يبوؤن بكفل من وزر الجهل فهم يلهثون وراء السهرات الاثمة والمجالس اللاهية راغبين ولايطلبون ان تتاح لهم فرصة العلم ويعطوا حقهم من المعرفة والرشاد صادقين ..

لقد كان لنا في أول عهدنا بالعمل في الازهر في أولئل العهد الخامس الميلادى رئيس نحبه ،ومازال - نسأل الله أن يمد في عمـــره .
بنا حفيا كلما لقيناه ،واذكر أننا كنا في مكتبه يوما نشكو اليـــه سوء تقدير الحكومات لجهد الدعاة وبخلها بتمكيننا بكرامة من زيارة البلاد والناس كماتفعل في أقل القليل لرجال الصحة والزراعـــــة والادارة الذين يؤدون أعمالهم غالبا في النهـــار .
وكان الشيخ يتلطف ويجيبنا باسلوب يطوى الالم والمرارة فيقول :-
يا أولادى لو عملنا استفتاء شعبيا بينكم وبين من لم تذكـــروه من طوائف ايكم الضرورى للشعب ؟؟ . فكم من اصوات الشعب تأخذون ؟ ان الشعوب بفطرتها تنزع للديـــــن وحتى العصاة الاثمين مـــــن خلال سكرهم الطاغى يثورون اذا تطاول رفقاء الكأس على أقداس الاسلام ولكن بعض أولى الشأن يجهلون بقصد وبغير قصد على هذا المعنى فـي شعوبهم ،فلا يبقي رأى عام ناضج يقام لاختياره وتقديره وزن .
روى الامام الطبرانى بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوما فأثني على قوم من المسلمين خيرا ثم قال :-
" مابال أقوام لايفقهون جيرانهم ولايعلمونهم ولايعظونهـــــم ولايأمرونهم ولاينهونهم ؟ وما بال اقوام لايتعلمون من جيرانهـــم ولايتفقهون ،ولايتعظـــــون ؟
والله ليعلمن قوم جيرانهم ،او لاعاجلنهم بالعقوبة " .... ثم نزل فقال قوم : من ترون عنى بهؤلاء؟ قال الاشعريين هم قوم فقهاء ولهـــم

جيران جفاة من اهل المياه والاعراب فبلغ ذلك الاشعريين ،فأتوا الى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :-
يارسول الله ... ذكرت قوما بخير وذكرتنا بشر فما بالنا ؟ فكـــرر عليهم خطابه آنفـــا .... فقالوا له ايانا عنيت ؟ فكرر خطابه فلما عرفوا انه عليه السلام عناهم استمهلوه سنة ليعلموا جيرانهـم ويفقهوهـــم .

ورضى الله عن على بن ابى طالب فقد قال :-
لايسأل الجهلاء لـم لم يتعلموا ،حتى يسأل العلماء لم لم يعملوا ؟

وسيبقى المجتمع الاسلامي بعيدا عما هو اهله من سيادة وريـادة وعز منعة حتى يأخذ تناصح المؤمنين حقه الكامل في الاداء والتقبـل بقبول حسن ... فالمرء لايرى عيب نفسه والنصح خالصه دين وايمان ...

والحمد لله أولا واخيـــــرا ...

الفهرس

الموضــــــوع	صفحـــــة

* * *

صـــــدر للمؤلـــــف :

١- الاسلام والاسرة	عام ١٩٦٢
٢- ملامح من هذا الدين	عام ١٩٧١
٣- فلسطين اسلامية	عام ١٩٥٨
٤- مع الامام البخـــارى	عام ١٩٨١
٥- عنصر الهداية في القرآن الكريم	عام ١٩٨٤
٦- ركائز المجتمع المسلم في سورة الحجــــرات .	عام ١٩٨٥

* * *

وتحـــت الطبـــــــع

١- ديـــوان من القلـــب .

٢- الاسلام يشق طريقـــــه .